دعوة الحق

سلسلة شهرية تصدرها
رابطة العالم الإسلامي
بمكة المكرمة

دُرُوس تَربويّة نبويّة

كتبها :
صالح أبو عراد الشهري

السنة الحادية عشرة - العدد ١٢٦ - جماد الثانى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م


دروس تربوية نبوية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين .

واصلي وأسلم على صاحب الغرة والتحجيل ، المؤيد بجبريل ، المعلم الجليل ، المذكور في التوراة والإنجيل ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم جيلاً بعد جيل .

أما بعد :

فأقدم للقارىء الكريم هذه الباقة المباركة من أحاديث أستاذ البشرية ومعلم الإنسانية ﷺ ، ضمن سلسلة الدروس التربوية النبوية التي كنت قد بدأتها في كتابات سابقة وحظيت - ولله الحمد - بقبول طيب عند القراء على اختلاف مستوياتهم ، الأمر الذي دفعني إلى مواصلة المسيرة وإخراج هذه المجموعة التي ضمنتها عشرين حديثاً حاولت من خلالها استنباط بعض الدروس التربوية التي تزخر بها هذه الأحاديث المباركة كمصدر رئيسي من مصادر التربية الإسلامية ، راجياً من المولى - عز وجل- أن يسد هذا الجهد المتواضع فراغاً في المكتبة العربية الإسلامية التي خلت كتبها التربوية في مجتمعاتنا الحاضرة من التنويه عن مثل هذه الأصول الحقيقية للتربية الحقة - اللهم إلا ماندر .

أخي القارىء : إن قيمة هذا الجهد تتضح في كونه يعرض صورة حية من حياة النبي ﷺ في آدابه وسلوكه وتعامله مع الآخرين وواقعه المثالي الذي ينبغي أن يكون نبراساً نستضيء به ، وهدياً نلتزمه لتطبيق الأطر

النظرية الإسلامية في تفاعلها مع الواقع الإجتماعي بجوانبه المختلفة وظروفه المتعددة ، لتكون كما أرادها معلم البشرية من خلال هذه الأحاديث الشريفة . ثم انني أقدم هذه الدروس التربوية النبوية راجياً أن تثير إنتباه الباحثين إلى ثراء السنة النبوية تربوياً ، وغزارة مفاهيمها ومضامينها التربوية التي تفتقرها تربيتنا المعاصرة . ولعل هذه الدروس التربوية النبوية تكون أكثر جذباً لأنظار الباحثين ، وأكثرهم إغراءً لعيونهم بالإلتفات الجاد إلى كتب الحديث النبوي ، وتقليب صفحاتها ، والبحث في آفاقها الواسعة ومعانيها العظيمة من منظور تربوي إسلامي .

ولعل هذه الدروس التربوية النبوية تشير إلى أن تناول القضايا التربوية ومعالجتها في بلادنا ينبغي أن يكون وثيق الصلة بمصادر الإسلام الجوهرية المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ففيهما ما يغني عن استيراد تلك الأفكار والمفاهيم التربوية العقيمة التي جاءت من الشرق الملحد مرة ، ومن الغرب المنحل مرة أخرى ، والتي لا تتوافق بحال مع مبادئنا وأفكارنا وواقعنا الإسلامي العظيم .

وختاماً : أسأل الله العظيم أن تكون هذه السلسلة عاملاً مساعداً في بناء جيل مسلم واعٍ ، مؤمن بالله ورسوله ﷺ ، متمسك بتعاليم دينه الحنيف ومافيه من سموٍ فكري ، ورقي كفيل بتحقيق الأهداف النبيلة ، وبلوغ الغايات الكريمة للتربية الإسلامية . كما أسأل الله الكريم أن يقبلها وأن ينفع بها ، وأن يجعلها حجة لنا لا حجة علينا . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . . .

أخوكم في الله

صالح بن علي أبوعرّاد الشهري

رئيس قسم التربية وعلم النفس بكلية إعداد المعلمين

ربيع ثاني ١٤١٢هـ - في أبها -

إستقلالية الشخصية المسلمة

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم - عن النبي ﷺ أنه قال : «**ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف**» (رواه الترمذي والطبراني) .

السلام تحية المسلمين الخالدة ، قال تعالى : ﴿**تحية من عند الله مباركة طيبة**﴾ (النور ٦١) . وهي مشتقة من أحد أسماء الله الحسنى ، فهو سبحانه السلام ومنه السلام . وهي من محاسن الدين الإسلامي ومزاياه التي يختص بها أبناؤه عن غيرهم . وقد جاء الأمر بإفشاء السلام لما في ذلك من أدب سام وتربية عالية ، ولأنه من أسباب زرع المحبة والألفة وإزالة البغضاء من نفوس أبناء المجتمع المسلم . ولهذه التحية صورة معينة وصياغة محددة متمثلة في قول المسلم لأخيه المسلم : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» . وهذا فيه دعاء للمسلم عليه بالسلامة والرحمة والبركة . كما أن هذه التحية تخالف تحية اليهود والنصارى وغيرهم ممن نهينا عن تقليدهم أو التشبه بهم في عاداتهم وتقاليدهم وسلوكياتهم لقوله ﷺ : «**من تشبه بقوم فهو منهم**» (رواه أحمدوأبوداود وحسنه السيوطي وصححه ابن حبان . ومن الدروس التربوية النبوية في هذا الحديث ما يلي :

*الحرص النبوي الكر يم على تعليم الصحابة - رضوان الله عليهم

- كل ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم مهما كان ذلك بسيطاً . وهذا فيه درس تربوي نبوي يدعو إلى عدم إغفال دقائق الأمور وجزئياتها ، وضرورة تعلمها ومن ثم تعليمها للآخرين والعمل بمقتضاها لما لها من أهمية بالغة في بناء الشخصية الإنسانية المسلمة وتربيتها وتوجيه سلوكها إلى المثالب المطلوبة اللائقة بالمسلم .

* التوجيه التربوي النبوي الكريم لكيفية أداء التحية الإسلامية فهي ليست مجرد إشارة عابرة أو كلمات باهتة ترددها الألسن كيفما اتفق ، ولكنها عبارة لفظية مؤدبة ، وصيغة شرعية أصيلة يثاب قائلها ويؤجر لما فيها من إحياء لشعيرة دينية ، واتباع لهدى النبوة ، ولما لها من آثار عظيمة ونتائج سامية في تعامل المسلم مع الآخرين .

* حرص التربية النبوية على استقلالية الشخصية المسلمة ، وعدم تشبهها بالآخرين في كل شيء . فتسليم اليهود الإشارة بالأصابع فقط ، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف فقط .

أما نحن كأمة مسلمة فلنا تحية مستقلة متمثلة في السلام اللفظي كتحية ربانية مباركة خاصة ، يقول المبتدىء بالسلام : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» .

ويرد عليه المجيب بقوله : «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» إضافة إلى ما يتبعها من مصافحة أو معانقة في بعض الأحيان . وهنا تجدر الإشارة إلى أن تحية الإسلام لا تقتصر فقط على اللفظ ولكنها تقع وتحصل بإقتران اللفظ والإشارة معاً وفي آن واحد . فقد جاء في حديث أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - «أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يوماً، وعصبة من النساء قعود ، فألوى بيده بالتسليم» (رواه الترمذي وحسنه) . فاقتران اللفظ والإشارة لا بأس به - إن شاء الله - ولكن النهي جاء عن الإشارة بالأكف أو بالأصابع دون اللفظ . والله أعلم .

* النهي التربوي النبوي عن استعمال عبارات التحية المخالفة لتعاليم الإسلام والتي درجت على ألسن الناس اليوم لأنها ليست من الإسلام في شيء كقول البعض : صباح الخير ، مساء النور ، مرحباً ، نهارك سعيد ، بونجور ، هاي ، بنسوار . . الخ ذلك من صيغ وعبارات تفشت في مجتمعات المسلمين . إضافة إلى أن البعض قد يكتفي برفع يده والتلويح بها أو الإشارة بإبهام يده منتصباً إلى الأعلى مع قبض بقية الأصابع . وهذا كله مخالف للهدي التربوي النبوي الذي ينبغي المحافظة عليه والحرص على تأصيله في النفوس وتعويد الألسن عليه لما له من استقلال ذاتي ومعنى مبارك وتأثير كبير على العلاقات الفردية والجماعية .

* ان التحية بالسلام ليست مقصورة على الأحياء وحدهم وإنما هي للأموات أيضاً ، لما رواه أبوداود والترمذي عن أبي جري الهجيمي - رضي الله عنه - قال :

أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت عليك السلام يا رسول الله . قال : «**لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الموتى**» .

كما أن الشاعر العربي يقول عند رثائه لقيس بن عاصم المنقري سيد قبائل بني تميم :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

وهذا فيه درس نبوي يربي على احترام المسلم واحترام منزلته التي أنزله الله إياها سواءً كان حياً أو ميتاً . كما ان فيه تربية على الكيفية التي يحيا بها المسلم بعد مماته ، وضرورة مراعاة الدقة اللفظية لهذه التحية . ومن هنا نرى ان اهتمام التربية الإسلامية بالفرد المسلم يستمر في حياته ومتصل حتى بعد مماته .

* ان التشبه باليهود أو النصارى أو غيرهم أمر غير مقبول في الإسلام حتى في الأمور والجزئيات التي قد يعتبرها البعض بسيطة كاللباس والطعام والقاء التحية ونحوها . فالمسلم شخصية مستقلة لها تربية متميزة ومنهج خاص وآداب فاضلة وطباع سامية وخصال حميدة . فهي بذلك في غنى عن تقليد غيرها أو التشبه بالآخرين . والحديث وان ركز على النهي عن التشبه بغير المسلمين في التحية إلا أن النهي عام بدليل قوله ﷺ : «**ليس منا من تشبه بغيرنا**» .

فيا اخوة الإسلام ، إذا كانت هذه تعاليم الإسلام ، وإذا كانت هذه تربية خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، فلماذا لا نتمسك بها في حياتنا اليومية ؟

ولماذا لا نطبقها في واقعنا ؟ ولماذا لا نسير على منهجها المبارك ؟ ولماذا لا نحافظ على هذه التحية المباركة ، تحية الإسلام ، لنسعد في دنيانا ، ونفوز في آخرتنا بالجنة دار السلام .

الوسطية وتوازن الشخصية المسلمة

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم - قال : قال رسول الله ﷺ : **«كل وأشرب وألبس وتصدق في غير سرف ولا مخيلة»** (رواه أحمد وأبوداود وعلقه البخاري) .

حرص الإسلام على الإهتمام بأمر المسلم في كل حال حتى يكون المسلم كالشامة متميزاً في زيه وهيئته ، وقوله وعمله ، وسره وعلنه ، وفي كل شأنه ، ومن هنا فإن المسلم الحق لا يهمل نفسه ؛ ولا ينسى ذاته حين يصرف كل اهتمامه للقيام بالتكاليف العليا والواجبات العظمى التي كلف بحملها في هذه الحياة الدنيا ، ولكن عليه كما ورد في هذا الحديث الشريف أن يكون موازناً بين ماله وما عليه ؛ فيعطي كل جانب حقه من الإهتمام والعناية حتى يتحقق التوازن في حياته بشكل لا افراط فيه ولا تفريط . قال تعالى : **﴿والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾** (الفرقان ٦٧) . ومع قبسات من هدى النبوة في هذا الحديث الشريف نشير إلى بعض الدروس التربوية النبوية ومنها :

* بيان أن الله سبحانه وتعالى أباح لنا الطيبات في المأكل والمشرب والملبس والمركب والمسكن ونحو ذلك من ضروريات الحياة ، وان ترك المباح من ذلك ليس من الدين في شيء ؛ بل ان الحديث جاء بصيغة الأمر ليربي الإنسان المسلم على إعطاء النفس حقها من المباهج الحياتية

والزينة الدنيوية المباحة ، والضروريات البشرية المحددة بالضوابط والمقاييس الشرعية . قال أبوالعتاهية :

إنما الدنيـــا متـــاع زائـــل فاقتصـــد فيه وخـــذ منه ودع

* الدعوة التربوية إلى الوسطية في كل شيء ، لما في ذلك من منافع ومصالح دينية ودنيوية إضافة إلى أن ذلك يؤدي إلى المرونة في حياة الفرد وسلوكه وتعامله مع الآخرين فلا افراط ولا تفريط ولا طغيان لجانب على الجانب الآخر .

* حث المسلم على الإعتدال في طعامه وشرابه ، فلا يكون شرهاً نهماً ، ولا يحرم نفسه من الملذات والطيبات المباحة . ولكن ذلك يكون بقدر معقول يقيم صلبه ويحفظ صحته ويمكنه من أداء واجباته والقيام بحقوقه . قال تعالى : ﴿**كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾ (الأعراف ٣١) . وقال ﷺ : «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شر من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه**» (رواه أحمد والترمذي) .

وهذا درس يربي المسلم على الإعتدال في هذا الجانب الحيوي المهم في حياته ، حتى يكون مؤمناً قوياً في جسمه سليماً في صحته قادراً على أدائه لواجباته . فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وقال الشاعر :

لقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبعت فيها بطون البهائم

* حث المسلم على الإهتمام بملبسه وبأن تكون ثيابه نظيفة ، ومظهره حسن ، وخاصة بين اخوانه المسلمين في المسجد ومكان العمل ونحو ذلك لقول الرسول ﷺ : «**ما على أحدكم إن وجد أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته**» (رواه ابوداود وابن ماجه باسناد صحيح) .

ولأن الرسول ﷺ كان يتجمل لأصحابه ولأهله وللوفود القادمة إليه، ثم لأن الله سبحانه جميل يحب الجمال . وهذا فيه درس نبوي يربي المسلم على الإهتمام بالملبس وجمال المظهر وأناقة الهندام دونما تشبه بغير المسلمين في ملابسهم وهندامهم ، ودونما خيلاء أو مغالاة أو غطرسة أو دروشة أو ارتكاب لمحرم كلبس الحرير والذهب ونحو ذلك مما لا يليق بالمسلم .

* ان الضمير في قوله ﷺ : «كل واشرب وألبس» يعود على النفس ، وهذا بدوره يربي المسلم على الإهتمام بنفسه ، وعدم الإهتمام في القيام بحقوقها من مأكل طيب حلال ، ومشرب مباح ، وملبس جيد مناسب لا خيلاء فيه ولا إسراف ولا خروج عن المألوف .

* إن في قوله ﷺ : «وتصدق» حيث للمسلم على مشاركة المساكين والمحتاجين بالصدقة عليهم في حدود ما تسمح به النفس من بذل وعطاء ، لما في ذلك من آثار تربوية تهذب النفوس وتصفيها وتنقيها فيرضى الآخرون وتنتشر في المجتمع المسلم أسباب المحبة والألفة والتعاون ، كما ان في ذلك تحقيق لمبدأ التكافل الإجتماعي في المجتمع المسلم. قال الشاعر :

إذا جـــادت الدنيا عليك فجد بها ... على الناس واعـــلم أنها تتقلب
فلا الجـــود يغنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيهـا إذا هي تذهب

* إن في الإلتزام بهذه الوصايا النبوية بعد تربوي نبوي يحث المسلم على إظهار نعمة الله عليه ، لقوله ﷺ : «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» حديث حسن رواه الترمذي والحاكم . وهذا أمر يثاب عليه المسلم مادام معتدلاً ولم يتجاوز الحد الذي قال فيه تعالى : **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾** (الاسراء ٢٩) .

* والنهي التربوي النبوي الكريم عن صفتين سلوكيتين خطيرتين هما : الإسراف والخيلاء . لما لهما من آثار سيئة ونتائج مؤسفة على شخصية الفرد المسلم وعلى مجتمعه .

فالأولى : وهي الإسراف ، صفة سلوكية مقيتة تؤدي إلى زيادة الإنفاق فيما لا داعي له ولا ضرورة ولا حاجة حتى لو كان ذلك الإسراف في أمر مباح لقوله تعالى : ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**﴾ (الاسراء ٢٧) . . ولقوله تعالى : ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾ (الأعراف ٣١) . وهنا نرى أن الطعام والشراب أمران مطلوبان ومباحان إلا أنه يشترط فيهما عدم الإسراف لا في المقدار ولا في الكيفية . قال ابن الوردي :

بين تبـــذير وبخـــل رتبة　　　وكلا هـــذين إن زاد قتـــل

والثانية : الخيلاء وهي سلوك سيء النتائج عظيم البلاء لأنه ينتج عن الإعجاب بالنفس واحتقار الغير ، ولذلك حذر منه ﷺ في قوله : «**من تعظم في نفسه ، أو اختال في مشيته ، لقي الله وهو عليه غضبان**» (أخرجه البخاري في الأدب المفرد . ثم لأن هذا السلوك المشين يؤدي بدوره إلى الكبر والغطرسة والتعالي على الآخرين ومن ثم إلى الوقوع في الإثم والمعصية . إضافة إلى مايترتب على ذلك من كراهية الآخرين وحقدهم وبغضهم لصاحب هذا السلوك ونبذهم له لأن الله سبحانه لا يحب الإختيال ولايرضاه للإنسان المسلم . قال تعالى : ﴿**إن الله لا يحب كل مختالٍ فخور**﴾ (لقمان ١٨) .

* الحث النبوي الكريم على استعمال المال في الأمور النافعة ديناً ودنيا ، وتجنب الأمور الضارة ، ولذلك فعلى المسلم أن يدرك أن المال جعل قواماً للحياة الدنيا وأحوالها العامة والخاصة ، وهو مع ذلك وسيلة

للتقرب إلى الله سبحانه وكسب رضاه - جل وعلا - والفوز بالجنة في الدار الآخرة . وهذا فيه درس تربوي نبوي يوجه إلى كيفية استعمال المال وتدبيره وتصريفه في مايعود بالنفع في الدنيا والآخرة . قال الشاعر :

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ... ولكن التقــي هــو الســعيد

وقال آخر :

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه ... تملكه المــال الذي هو مالكه

ألا إنما مالي الـــذي أنا منفـق ... وليس لي المال الذي أنا تاركه

فيا شباب الإسلام ، ويا أبناء أمة الإيمان ، هل لنا من عودة صادقة إلى منهج الله الخالد ، والتزام بهدي معلم البشرية وأستاذ الإنسانية الأول ﷺ؟! وهل لنا أن نربي أنفسنا ومجتمعنا على هذه الدروس التربوية لتتحقق لنا التربية المتوازنة السوية المتكاملة التي لا يطغى فيها جانب على آخر ؟!

وفقنا الله وإياكم إلى ما فيه الخير والصلاح ، والله أعلم . .

السلام وبناء المجتمع المسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير» (متفق عليه) .

وفي رواية للبخاري : «والصغير على الكبير» .

مع هذا الحديث الذي اشتمل على باقة مباركة من الآداب النبوية السامية ، والتوجهات التربوية الإسلامية ، فسلط الضوء على أدب التحية الإسلامية التي تميز أبناء الإسلام دون سواهم ، وانفردوا بها عن غيرهم من الناس .

هذه التحية المباركة التي وردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية العديدة في بيان فضلها وعظم شأنها ، والتي حرصت التربية الإسلامية النبيلة على التمسك بها والإلتزام بآدابها لما لها من نتائج عظيمة ، وثمار طيبة في بناء المجتمع المسلم بناءً قوياً متماسكاً ترفرف عليه السعادة الإيمانية في كل زمان ومكان . ومن الدروس التربوية النبوية في هذا الحديث مايلي :

١ - التوجيه التربوي النبوي إلى أدب من الآداب الإسلامية وحق من الحقوق الإجتماعية التي يجب على المسلم أن يؤديه وأن يتأدب به وأن يحرص على إشاعته في المجتمع ، الا وهو أدب التحية الإسلامية ويشمل

البدء بالسلام ورده وإفشائه ، لما له من الآثار التربوية العظيمة والفاعلة في مد جسور المحبة والمودة والإخاء بين أفراد المجتمع المسلم ، ولأنه يعد الخطوة الأولى على طريق الجنة وسبيل النجاة ، فقد ورد عن النبي ﷺ قوله : «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (رواه مسلم) . وفي ذلك يقول الشاعر :

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهم ودٍ فيزرعه التســليم واللطف

٢- في الحديث توجيه وبيان لمن يجب عليه البدء بالسلام وأداء التحية فالراكب يسلم على الماشي لما في ذلك من التواضع والبعد عن الزهو والخيلاء ، ولأن الراكب ربما رأي في ركوبه علواً وفضلاً على أخيه الماشي ؛ فكان عليه أن يبدأ بالسلام والتحية . ثم لأنه بركوبه يكون مرتاحاً جسدياً ونفسياً ، بعكس الماشي الذي قد يكون متعباً ومشغولاً بالطريق ، فكان الراكب في وضع يسمح له ويؤهله للبدء بإلقاء التحية على أخيه الماشي .

٣- ان على الماشي ان يسلم على القاعد ، فالسلام كما هو معروف تحية الوارد وهو هنا الماشي . ثم ان في ذلك بعداً تربوياً يتمثل في إزالة الخوف والريبة عن القاعد قد يشق عليه مراعاة المارين لكثرتهم أو لإنشغاله عنهم .

٤- إن الجماعة القليلة تسلم على الجماعة الكثيرة ، وكذلك يسلم على الجماعة مخافة أن يداخل القليل شيء من الكبر والزهو والخيلاء لسلام الكثير عليهم . وهذا أدب نبوي وتوجيه تربوي يشير إلى أفضلية الجماعة .

٥- أن يسلم الصغير في السن على من هو أكبر منه احتراماً له

وتوقيراً لِسنّه . وهذا أدب تربوي نبوي يؤدي المسلم على فضائل الأخلاق والآداب الإجتماعية الكفيلة بإيجاد دواعي واسباب الإحترام والعطف بين أفراد المجتمع المسلم .

٦- إن ما ورد في الحديث من الترتيب يكون على وجه الأولوية والأفضلية التي تدعو إليها التربية النبوية حرصاً على نشر المحبة والألفة بين المسلمين ، وإلا فلا مانع من أن يبدأ الكبير والماشي والكثير بأداء التحية والسلام على غيرهم . ولكنه الأدب الرفيع الذي يربي النفوس ويهذبها ويهديها إلى الخير ويوجهها إلى المثالية السلوكية . قال الشاعر :

بمكارم الأخلاق كن متخلقاً ليفوح مسك ثنائك العطر الشذي

وقال شاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٧- أن الاستهانة بهذه الآداب النبوية وما فيها من دروس تربوية خالدة ، والاعراض عن تطبيقها في واقع الحياة لا يمكن أن يكون الأمن مستهتر بالقيم النبيلة أو مصاب في أخلاقه وسلوكه بداء الكبر والغرور والتعالي والإعجاب بالذات ، حتى أنه - والعياذ بالله - يضن ويبخل بعطاء التحية وبذل السلام وهو العطاء الذي يبذله الإنسان من لسانه ووجهه لا من جيبه أو ماله - كفانا الله وإياكم من ذلك .

٨- إن هذه الآداب الإسلامية تربية إجتماعية سامية ورفيعة ، لأنها تمثل في مجموعها أول خيط من خيوط الترابط الإجتماعي وأول خطوة من خطوات المسيرة الإيمانية على طريق الأخوة الصادقة ، ولذلك فإن التربي عليها والحرص على إشاعتها في مختلف الأوساط والمحافظة عليها وتكرارها في مناسبة عامل مباشر في عقد الصلات ونسج المودة بين أبناء المجتمع المسلم فتتاح لهم بذلك فرص التفاهم والتعاون والبناء .

فيا اخوة الإسلام ، لماذا لا نحرص على هذه الآداب السامية؟ !

ولماذا لا نمارسها في حياتنا اليومية؟!

ولماذا لا نطبقها سلوكاً وعملاً؟!

ولماذا لا نخلدها نوراً للأجيال؟!

من خصائص المجتمع المسلم

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أي الإسلام خير ؟ قال : «تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»

(رواه الشيخان وأبوداود والنسائي وابن ماجة)

إن الإسلام إذا تمكن من قلب صاحبه ، جعله كريماً سخياً معطاءً ، يجود بالنفس ، ويبذل الغالي والنفيس ، يحب الإيثار ويمقت الأثرة ، ويحب الخير للناس كافة . وقد اشتمل هذا الحديث على خصلتين سلوكيتين عظيمتين لهما دور كبير في تثبيت أواصر المحبة في النفوس بما اشتملت عليه من أمور الخير ودوافع انتشار المحبة والمودة بين أفراد المجتمع المسلم . ومن الدروس التربوية النبوية المستخلصة من هذا الحديث مايلي :

١ - حرص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على الخير ومعرفة الحق والسؤال عنه . وهذا درس يربي المسلم على عدم التواني والتكاسل عن طلب العلم ، والسؤال والإستفسار عن كل ما تهمه معرفته حتى يكون على بصيرة وبينة من أمره وبخاصة ما كان متعلقاً بأمور الدين والدنيا وعن أفضل الخصال وأحسن الأعمال حتى يوليها العناية والإهتمام .

٢- الحث النبوي على إطعام الطعام كصفة تربوية من صفات الأنبياء والصالحين ، وسلوك كريم منذ القدم فقد كان ابراهيم عليه السلام أول من أضاف الضيف ، وكان العرب يتفاخرون باطعام الطعام واكرام الضيف حتى أن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الميل والميلين ، ولذلك جاءت تعاليم الإسلام وتربيته العظيمة تحث على هذه الصفة المباركة والسلوك النبيل وخاصة مع المحتاج إليها لا سيما إذا كان من الأهل أو الأقارب فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله : «لأن أجمع اخواني على صاعٍ من طعام أحب إلي من أن أذهب إلى سوقكم هذه فإبتاع نسمة (أي نفساً) فاعتقها» وما ذلك إلا لما لهذه الخصلة من دور في تربية النفس البشرية على فعل الخير والإحسان إلى المحتاجين ، وشكر نعمة الباري سبحانه ، وتفقد أحوال الفقراء ، والسؤال عنهم . قال تعالى : ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾ (الإنسان ٨) قال الشاعر :

الله أعطاك فابذل من عطيته فالمال عارية والعمر رحال

٣- ان اطعام الطعام لا يعني الإسراف والتبذير ، قال تعالى : ﴿**ولاتسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾ (الانعام ١٤١) . وإنما المقصود بذله للمحتاجين وتقديمه للضيوف وإن لم يكونوا مسلمين فالأجر والثواب حاصل إن شاء الله لعموم قوله تعالى : ﴿**واطعموا البائس الفقير**﴾ (الحج ٢٨) ولقوله ﷺ : «**في كل كبدٍ رطبة أجرٌ**» (رواه مسلم) .

وهذا فيه درس نبوي يربي المسلم ويحثه على سلوك تربوي نبيل وصفة خيرة جميلة تعود النفس على البذل والعطاء والإحسان إلى الغير . قال الشاعر :

إذا المرء وافى منزلاً منك قاصداً قراك وأرمته لديك المسالك

فكن باسماً في وجـهه متهللاً   وقـل مرحـباً أهلاً ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى   عجولاً ولا تبخل بما هو هالك

٤- الحث النبوي على اقراء السلام ويعني ذلك ان على المسلم افشاؤه على من عرف ومن لم يعرف لأن في ذلك تربية على اخلاص العمل لله وترك المصانعة والمجاملة والتملق ، كما أن في ذلك زيادة للمحبة بين المتعارفين ، وجلب للصلة بين المتناكرين ، والسلام شعيرة اسلامية ينبغي التربي عليها والإكثار منها والتمسك بها لأنها من ظواهر معنى الوحدة الجسدية بين المسلمين ، وهو حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم لما فيه من توثيق لعرى المحبة وروابط الأخوة . قال الشاعر :

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهم   ود فيزرعه التسـليم واللطف

٥- أن اقراء السلام خصلة فاضلة ، وصفة تربوية حسنة ، وسلوك ينبغي التمسك به والتعود عليه مع الجميع في اقتصاره على من يعرف الإنسان - كما يفعل كثير من الناس اليوم - نوع من الكبر والإستعلاء والخصوصية المقيتة . أما تعميمه على الجميع ففيه درس يربي المسلم على التواضع والحث على التعارف والتواصل . قال بعضهم : «بثوا السلام فهو رفع للضغينة بأيسر مؤنة ، واكتساب أخوة بأهون عطية» . وقال رجل لآخر : أبلغ فلاناً تحية . فقال :

هدية حسنة ومحمل خفيف .

٦- إن كلاً من هاتين الصفتين لها طابع فردي وآخر إجتماعي ، فمن الممكن أن تكون فيما بين الفرد والفرد ، أو فيما بين الفرد والجماعة ، أو فيما بين الجماعة والجماعة ، وهذا يعني أنها صفات تربوية مرنة وليست محدودة أو مقيدة بفئة معينة أو قطاع خاص من الناس . ولذلك جاء التركيز في الحديث على هذين الجانبين لأن من شأنهما دعم العقيدة وبث

الدوافع الإيمانية في النفوس كثمرة للتربية الإسلامية .

٧- إن ورود هاتين الصفتين في الحديث معاً دليل على ارتباطهما كسلوك تربوي اسلامي مشترك يربي المسلم على البذل والعطاء فالمسلم يبذل ماله في إطعام الطعام ويبذل قوله في الترحيب والسلام . قال الخطابي : «جعل ﷺ أفضلها اطعام الطعام الذي هو قوام الأبدان ، ثم جعل خير الأقوال في البر والإكرام و إفشاء السلام» .

فيا شباب الإسلام ، ويا تلاميذ المدرسة المحمدية ، هل لنا من عودة إلى هدي النبوة المبارك ، ونبعها الصافي ، وتعاليمها السامية؟!!

من الآداب الإجتماعية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**اتقوا اللاعنين**» قيل : وما اللاعنان ؟ قال : «**الذي يتخلى في طريق الناس، أو في ظلهم**» (رواه مسلم وأبوداود) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**اتقوا الملاعن الثلاثة : البراز في الموارد ، وقارعة الطريق ، والظل**» (رواه ابوداود) .

في الحديثين توجيه نبوي لحق من الحقوق الإجتماعية ، وأدب من آداب المعاملة بين أفراد المجتمع المسلم ، والمتمثل في تربية المسلم على عدم إيذاء الآخرين حتى لا يتسبب في اسخاطهم عليه وحملهم على لعنه وسبّه والدعاء عليه ، ومن ثم يكون عرضه لإكتساب الإثم والخطيئة . قال تعالى :

﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾ (الأحزاب ٥٨) . لذلك كان من الآداب التربوية النبوية والتعاليم الإجتماعية الرفيعة الحث النبوي على نظافة بيئة ومجتمع المسلم نظافة من القاذورات والأوساخ والمؤذيات ، لأن ذلك دليل ومؤشر على نظافة المجتمع المعنوية من المعاصي والمنكرات والمخالفات .

وقد جاء في «سبل السلام» : ان المواضع التي ورد النهي عن التبرز

فيها ستة وهي : قارعة الطريق ، والظل ، والموارد ، ونقع الماء (مكان تجمعه) ، والإشجار المثمرة ، وجانب النهر . وزاد بعضهم أبواب المساجد .

ومن الدروس التربوية النبوية في هذين الحديثين مايلي:

* حرص التربية الإسلامية على تأصيل دواعي المحبة ، وأسباب المودة والألفة ، واحترام الحقوق المشتركة بين الناس ، وغرس ذلك في نفوس أبناء المجتمع المسلم ، وهذا بدوره يبين حرص الإسلام على حماية ورعاية حقوق الناس ومصالحهم العامة حتى لا تكون عرضة لفساد المفسدين وخراب المخربين وعبث العابثين ، فتنعدم بذلك فائدتها ولا يتحقق النفع العام منها .

* عناية التربية الإسلامية بالنظافة والطهارة و إزالة الأذى والضرر ، وخاصة في أماكن التجمعات والطرق والمتنزهات وموارد المياه وما تحت ظلال الأشجار والمرافق العامة . وهذا فيه درس نبوي يدل على اهتمام التربية الإسلامية بالناحية الصحية التي تمثل إحدى النواحي التربوية الخيرة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم لاشتمالها على صحة الإنسان ونظافة البيئة التي ينمو ويعيش فيها .

* أن قضاء الحاجة - كصورة من صور الأذى - في الأماكن التي لا يقتصر نفعها على شخص بعينه أمر غير مرغوب فيه وسلوك مرفوض يؤدي بصاحبه إلى مقت الناس وغضبهم وإثارة اشمئزازهم ، ويكون سبباً في تعرضه لسخطهم ونمو ذلك من سب وشتم ولعن . قال ﷺ :

«**من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم**» (رواه الطبراني) .

وهذا فيه درس تربوي نبوي ينهى عن الحاق هذه الأماكن بشيء من

القذارة والنجاسة لما يترتب على ذلك من تلويثها وإفسادها وعدم تحقق النفع منها بالشكل المطلوب .

* بيان أن الطريق العام والظل والموارد ونحوها مرافق عامة ليس من حق أحدٍ أن يعتبرها ملكاً له أو تحت تصرفه لأنها في المجتمع المسلم منافع عامة تخدم الجميع وتحقق مصالحهم ؛ فوجب على الجميع احترامها وصيانتها وعدم تعريضها لما قد يشينها أو يشوهها أو يفسد صورتها أو يعطل نفعها . وما يجري على هذه الأماكن يجري على الحدائق والشوارع والأسواق والطرق والساحات العامة والميادين وغيرها .

* ان تربية المسلم تفرض عليه أن يكون نظيفاً في ملبسه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومكان عمله ومحل عيشه وبيئته التي يتنقل بين جنباتها فالنظافة من الإيمان وهي سلوك ملازم للمسلم في كل زمان ومكان . وهنا درس يدعو إلى الإهتمام بالتربية الصحية للإنسان المسلم أينما كان وحيثما حل ، وهذا بدوره يمثل أحد الأركان الهامة في بناء الشخصية المسلمة ، ويعكس صورة حقيقية للمجتمع المسلم وما ينبغي أن يكون عليه من مثالية ورقي .

قيم تربوية

عن ثوبان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : **«لعن الله الراشي والمرتشي والرائش»** (رواه أحمد والطبراني) .

من فضل الله سبحانه وتعالى على العباد أن الحلال بين والحرام بين ، وأن الحق باق والباطل زائل ولذلك جاء دين الإسلام محرماً لكل وسيلة ينتصر بها الباطل على الحق . ولما كانت الرشوة إحدى الوسائل التي تبطل الحق وتحق الباطل ؛ فقد حرمها الإسلام وجعلها من السحت الحرام ، واعتبرها سلوكاً سيئاً منحرفاً ، عظيم الأثر كبير الضرر ، فإثمها وضررها يشمل الراشي والمرتشي والرائش ، وإذا دخلت الرشوة من باب خرجت الأمانة من الآخر . لذلك ورد أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال في كتاب كتبه إلى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - : «ولا تتخذوا أحداً من المشركين كاتباً على المسلمين ، لأنهم يأخذون الرشوة في دينهم ولا رشوة في دين الله» . من هنا جاء هذا الحديث الشريف في بيان نبوي رائع تتجلى فيه الحقيقة للمسلم ساطعة واضحة منيرة ، لتبين خطر الرشوة ومضارها كفخ للمروءة ومصيدة للأمانة والشرف . ومن الدروس التربوية النبوية في هذا الحديث مايلي :

١ - تحريم الرشوة ، وهي أن يعطي الإنسان شيئاً من ماله أو حلاله لحاكم أو أمير أو مسؤول أو من ولي أمراً من أمور المسلمين ليحكم له

بغير حق أو يتغاضى عنه في باطل . والرشوة حرام في أي شكل ، وبأية وسيلة . ولها العديد من الصور والكيفيات فهي إما أن تكون شفاعة باطلة ، أو مبلغاً نقدياً أو مأدبة تقام للمرتشي ، أو هدية تقدم له لأجل رد الحق و إقرار الباطل . قال تعالى عن الذين يأكلون الرشوة : ﴿**أكّالون للسحت**﴾ (المائدة ٤٢) . والرشوة من السحت لقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه : «بابان من السحت يأكلهما الناس ، الرشا ومهر الزانية» . وقال ابن مسعود - رضي الله عنه : «السحت : الرشا في الدين» . .

وهنا درس نبوي يربي المسلم على تحريم الرشوة لما فيها من خيانة لولي الأمر وظلم الناس وأكل أموالهم بغير حق . ودليل تحريمها الشرعي يتمثل في لعن رسول الله ﷺ لمن قام بها وطردهم من رحمة الله وهو ما لا يكون إلا في معصية كبيرة وجريمة محرمة عظيمة - والعياذ بالله- .

٢- أن الراشي (الطرف الأول في قضية الرشوة) هو باذل الرشوة أي من يدفع من ماله أو حلاله لأحد من الناس القائمين على أمور المسلمين أو مصالحهم على وجه المحاباة والمصانعة مقابل أن يقطع له حق غيره أو يتغاضى عنه في أمر من الأمور أو نحو ذلك مقابل هذا المال . والراشي ملعون على لسان النبي محمد ﷺ أي مطرود من رحمة الله ، لأنه بفعله هذا عنصر من عناصر إفساد المجتمع وانتشار الظلم بين أفراده ، ولأنه بذلك يساعد على تضييع الحقوق وهضمها ، ويساعد المرتشي على أكل أموال الناس بالباطل . وهذا فيه انحراف سلوكي اجتماعي يؤدي إلى مفاسد اخلاقية ورذائل إجتماعية ، فكان هذا الدرس التربوي النبوي ناهياً عن هذه الصفة غير الأخلاقية ومنكر لها .

٣- أن المرتشي (الطرف الثاني في قضية الرشوة) هو من تناول الرشوة

وأخذها وقبل بها مقابل أن يغير الحق فيحوله إلى باطل ، وهو ملعون أيضاً ومطرود من رحمة الله لأنه بفعله ذاك ساهم في طمس معالم العدالة في الأمة المسلمة ، وشارك في تقويض دعائم الإصلاح الإجتماعي وزعزعتها بين أبناء المجتمع ، كما أنه أخذ المال بطريق غير شرعي ، وقام بأكل أموال الناس بالباطل ، ومنع الحق عن أصحابه طمعاً في أخذ الرشوة . وهذا درس تربوي ينهى عن هذه الصفة السلوكية الحقيرة التي تربي صاحبها على دناءة النفس والذلة والخضوع للآخرين مقابل متاع زائف وثمن بخس . قال الشافعي :

أمت مطامعي فأرحت نفسي
فإن النفس ما طمعت تهون
إذا طمعٌ يحل بقلب عبدٍ
علته مهانة وعلاه هونُ

٤- أن الرائش (الطرف الثالث في قضية الرشوة) هو الوسيط أو السفير الذي سعى بين الراشي والمرتشي ، وهو ملعون أيضاً لأنه ساهم معهما في الإخلال بنظام العدالة في المجتمع ، ورضي بهذا العمل المشين ، والراضي كالفاعل . فهو صاحب ضمير ميت ، ونية فاسدة . وهذا درس نبوي يربي المسلم على عدم السعي في أي أمر من الأمور المحرمة ، أو المضرة بمصالح المسلمين ، أو التي قد ينبني عليها مفسدة للمجتمع المسلم أو الفرد المسلم .

٥- أن من فعل شيئاً من هذه الخصال الثلاث فهو ممن حلت عليهم اللعنة على لسان النبي ﷺ ، وهنا درس نبوي ينهى عن هذا السلوك الإجتماعي الخطير ، ويربي على الأمانة وعدم الخيانة ، وينفر من الرشوة لما لها من آثار مدمرة في إبطال الحقوق وإحقاق الباطل وترويجه ،

وإظهار الفساد في الأرض ، وتفشي المفاسد والمنكرات . وهذا بدوره يساعد ويؤدي إلى اختفاء العدالة من المجتمع ، وموت الضمائر ، وهلاك النفوس . قال تعالى : ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**﴾ (البقرة ١٨٨) .

٦- النهي التربوي النبوي لمن ولي شيئاً من أمور المسلمين أو مصالحهم عن قبول الرشوة مهما كانت صغيرة أو بسيطة ، ومهما مسماها فسواءً كانت هدية أو إكرامية أو نحو ذلك وقصد بها تغيير الحق وإظهار الباطل فهي في الحقيقة رشوة ، ثم لأنها مجلبة للشك في العدالة ، ومضيعة للعفة والأمانة ، وملوثة للشرف والكرامة وعلى الترفع عن سفاسف الأمور ومفاسد الأخلاق .

٧- ان على المسلم أن يلتزم بهدي النبوة وتربية الإسلام التي تحثه على الإبتعاد عن مواطن الشبهة والريبة والشك ، وعدم التعرض لسخط الله وعقابه ولا لشكوك الناس وريبهم وفي هذا درس نبوي يربي المسلم على النزاهة عن المطامع الدنيوية الدنيئة التي قد تؤدي بالتكرار إلى تكون سلوك خلقي منحرف ، وطبع إنساني دنيء قال الشاعر :

ومن كانت الدنيا مناه وهمه سبته المنى واستبعدته المطامع

٨- ان للرشوة مضار اجتماعية سيئة وعواقب وخيمة لقوله ﷺ : «**ما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب**» (رواه أحمد) . أي أنه لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار لكثرة مايتنابهم من الفواجع والأهوال ، والخوف والرعب . وهنا دليل على أن نزول المحن والمصائب لا يكون إلا بسبب الوقوع في أمر محرم كالرشوة غنيمة جاهزة ودونها كد أو عناء ، ثم لأن فيها تعطيل للمصالح التي لا يمكن إنجازها إلا بالرشوة وبذلك

يتمكن من يدفعها من إنهاء مصالحه ولا يتمكن غيره من ذلك . وهذا فيه درس نبوي يربي المجتمع على ضرورة التنزه عن هذه الصفة السلوكية الخبيثة لعظم أضرارها الفردية ومفاسدها الإجتماعية .

دعوة إلى التكافل الإجتماعي

عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال :

«اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول» (متفق عليه) .

مع الأسلوب الفريد ، والتعبير الرشيد ، يحثنا معلم الناس الخير ﷺ في هذا الحديث على العمل الشريف والكسب الحلال ليكون عوناً لنا - بإذن الله - على الصدقة والإحسان إلى المساكين والبؤساء والمحتاجين لا سيما إذا كانوا ممن يجب علينا الإنفاق عليهم ورعايتهم كالأهل والأقارب .

وفي ذلك تربية للنفوس على حب الخير وفضل الإنفاق في سبيل الله ، ومايترتب عليه من آثار إيجابية ونتائج حسنة في بناء المجتمع المسلم تؤدي إلى الترابط والتكاتف بين أفراده ، كما تؤدي إلى إقامة مبدأ التكافل الإجتماعي الذي جاء به الإسلام في أكمل صورة ، حتى قال عنه الشهيد سيد قطب - رحمه الله - في كتابه «دراسات إسلامية» .

«إن التكافل الإجتماعي عمل إيجابي في محيط المجتمع ، لا يتحقق إلا أن يسبقه شعور دافع في عالم الضمير ، وسلوك واقع في حياة الجماعة» وكأنه يشير بذلك إلى ضرورة إصلاح النية والقصد ، إضافة إلى حسن التطبيق العملي . ومن الدروس التربوية النبوية في هذا الحديث ما يلي :

* الإشارة التربوية النبوية إلى فضل العمل والسعي لجلب الرزق والكسب الحلال بالطرق المشروعة ، ليتحقق للمسلم فضل التصدق

وأجره وثوابه ، بدلاً من أن يكون ممن يمد يده للسؤال في ذلة وخضوع ومسكنة . وهذا درس تربوي يحث على العمل بصورة غير مباشرة لأن من لا يعمل لا يجد ماينفعه ويتصدق به ، ومن هنا نرى أن التربية الإسلامية تحث على العمل والسعي في طلب الرزق والكسب الحلال لما في ذلك من محافظة على كرامة المسلم وعزته وشخصيته .

* الإستعانة بضرب الأمثلة لتوضيح المعنى ، ففي قوله ﷺ «اليد العليا» كناية عن اليد المتصدقة أو المنفقة ، و«اليد السفلى» كناية عن اليد الآخذة أو السائلة . وهذا اسلوب تربوي نبوي تصويري رائع يوجز المبنى ولا يخل بالمعنى ، ولا عجب فهذه بلاغة محمد ﷺ وهذا بيانه وهذه فصاحته .

* بيان أن اليد المنفقة المعطاءة خير من اليد السائلة التي تأخذ الصدقات وتقبل الاعطيات . وفي ذلك درس تربوي يبين أن اليد الأولى تتسم بالعزة وتتصف بالكرامة التي تليق بالمسلم وتتلاءم مع تربيته السامية وخلقه الرفيع . أما الثانية فإن فيها ذلة ومهانة وإضاعة للكرامة ، وهذا ما لا يليق بالمسلم ولا يتلاءم مع خلقه وسلوكه .

* كراهية السؤال للمسلم والحث على عدم امتهانه أو اللجوء إليه لغير ضرورة ملحة أو حاجة ماسة ، وذلك لما فيه من الذل والهوان والبعد عن العزة والكرامة الإنسانية التي ينبغي للمسلم التربي عليها والإتصاف بها والتحلي بأخلاقها . قال الشاعر :

لا تسألن بنُيَّ آدم حاجة — وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله — وبُنَيٌّ آدم حين يسأل يغضب

* ان صدقة المسلم على أقاربه الذين لا تلزمه نفقتهم يحقق درجة الأفضلية ، لأنها حينئذ تحقق غرضين تربويين اجتماعيين هما الصدقة على

الفقراء والمعوزين أولاً ، وصلة الرحم ثانياً . ونتيجة لذلك يكون الثواب - بإذن الله - مضاعفاً والأجر عظيماً ، لقوله ﷺ :

«**الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم ثنتان : صدقة وصلة**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن) وهذا درس نبوي يدعو إلى الترابط الأسري والتكافل الإجتماعي والتعايش الإنساني بين أفراد المجتمع المسلم . ولعل من أروع الأمثلة على ذلك ماورد أنه عندما نزلت الآية : ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ (آل عمران ٩٢) . قام أبوطلحة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : «يا رسول الله ، إن أحب مالي إليّ بيرحاء (حديقة نخل) وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . فقال الرسول ﷺ : «**بخ ، ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ! وقد سمعت ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» فقال أبوطلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبوطلحة في أقاربه وبني عمه» (متفق عليه) . وفي ذلك يقول الشاعر :

وكن متصـدقاً سراً وجهراً ... ولا تبخل وكن سمحاً وهوباً

تجـد ما قدمتـه يداك ظلاً ... إذا ما اشـتد بالناس الكروبا

* تربية الأغنياء والموسرين على البذل والعطاء وتوضيح طريق الإنفاق للمسلم ليكون مسرعاً إليه مقبلاً عليه ، وما أحسن أن يكون إنفاق المسلم في البداية على أهله وعياله وأقاربه ، فهو الأقرب إليهم والأدرى بأحوالهم ، وهم الأحق بأن يمد لهم يد العون والمساعدة لما ورد عن أبي مسعود البدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة ، يحتسبها فهي له صدقة» (متفق عليه) . وهنا درس يحث المسلم على الإنفاق على من يعول وأن يحتسب ذلك عند الله سبحانه ، وأن يحذر من إهمالهم وعدم النفقة عليهم حتى لا يجعلهم في

فاقة أو عوز أو عسر ، فإن ذلك إثم عظيم لقوله ﷺ : «**كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت**» (رواه مسلم وأبوداود . وليس هذا فحسب بل إنهم لو كانوا غير مسلمين لكان عليه أن يمد لهم يد العون والمساعدة والا يحوجهم إلى السؤال وهو موسر ، وفي ذلك يقول سيد قطب :

«هذا التكافل في الأسرة ليس مجرد تكافل إقتصادي إنما تكافل إنساني كامل يشمل واجب العناية بالأطفال ، وتنشئتهم وإعدادهم للحياة جسمياً وعقلياً وروحياً ، وواجب الرعاية للأمهات والآباء عند الكبر والهرم ، إلى جانب التكاليف المادية والتوارث المقابل لهذه التكاليف» .

ويضيف - رحمه الله - قوله : « إذ يقرر الإسلام النفقة للعاجز على القادر في محيط الأسرة ، ويقرر معه نظام التوارث بين الأقرباء» فأي سماحة وأي إنسانية يدعو إليها هذا الهدى النبوي العظيم؟!

قيم حضارية :
الرفق .. الإحسان

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «بينما رجل يمشي بطريق إشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له» قالوا يا رسول الله : وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال : «في كل كبدٍ رطبةٍ أجر» . (رواه البخاري ومسلم) .

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**» (رواه مسلم) .

إذا كان الإسلام دين علم وإيمان ، فإنه بالإضافة إلى ذلك دين شفقة واحسان ، ليس للإنسان وحده وإنما للحيوان أيضاً ولكل المخلوقات الأخرى ، فرحمة الله واسعة وشاملة . وبما أن الإسلام هو دين الله سبحانه فإن رحمة الإسلام وشفقته وإحسانه عام لكل شيء . قال تعالى : ﴿**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**﴾ (البقرة ١٩٥) .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في كتابه «بهجة قلوب الأبرار» : (الإحسان هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان ، لأي مخلوق يكون ، ولكنه يتفاوت المحسن إليهم وحقهم ومقامهم) وقيل ان الإحسان فوق العدل ، وذلك أن العدل هو أن يعطي الإنسان ما عليه ، ويأخذ مما له ، واما الإحسان فهو أن يعطي الإنسان أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له .

وإذا كان محمد ﷺ معلم البشرية الأكبر ، وأستاذ الإنسانية الأعظم ، فإنه نبي الرحمة لكل العوالم ومختلف الخلائق ، ولذلك قال فيه تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (الأنبياء ١٠٧) فرحمته ﷺ لم تكن مقصورة على المسلمين فقط أو على البشر دون سواهم ، وإنما امتدت لتشمل الإنس والجن والحيوان والجماد ، فنراه رحيماً بالإنسان المسلم ، رؤوفاً بغيره ، مشفقاً على الدواب ، رفيقاً بالحشرات والطيور ، بل انه رفيق حتى بالجماد فقد ورد انه عندما استبدل جذع الشجرة الذي كان يخطب عليه بمنبر آخر صاح ذلك الجزع فوضع يده الشريفة عليه حتى سكت ، فكان ﷺ معلماً للخير والإحسان ومرشداً إلى البر واللطف، وموجهاً إلى الشفقة والعطف ، وليس أدل على ذلك من هديه ﷺ في تعاملة الرحيم مع الحيوان في هذين الحديثين الشريفين اللذين طافا بنا آفاقاً تلو آفاق ، وحلقا بنا في عالم الرحمة والعطف والشفقة . ومن الدروس التربوية النبوية فيهما ما يلي :

١ - ان هذه القصة التي وردت في الحديث الأول ، وقعت في عهد من كان قبلنا من الأمم والأقوام تدل على أن شرع من كان قبلنا شرع لنا إذا لم نؤمر بخلافه ، ولم يكن فيه مايتنافى مع شرعنا الإسلامي القويم وتعاليمه السمحة . وهذا درس تربوي نبوي يعتبر أصلاً من الأصول

التربوية الإسلامية ، فأعمال البر والخير غير مرتبطة بزمان ولا مكان ولا بإحسان دون إنسان ، ولا بمخلوق دون مخلوق ، فالفضيلة لا يمكن أن تكون في يوم من الأيام رذيلة ، وصور الإحسان في الماضي هي نفسها في الحاضر .

٢- وجوب العطف والرحمة والشفقة بالحيوان وغيره من الكائنات الحية كما هي واجبة في حق الإنسان فمن لا يرحم لا يرحم وهذا درس نبوي يربي الإنسان على ضرورة تحقيق مبدأ العطف والرحمة والرفق بالحيوان ، فلا يحمل ما لا يطيق من أحمال ، ولا يكلف ما لا يقدر عليه من أعمال ، ولا يؤذي ، ولا يتخذ اللهو واللعب ، ولا يحبس عن الطعام والشراب أو يقصر فيهما ، ولا يسخر لما لم يخلق له من أعمال واستخدامات ونحو ذلك .

٣- في قوله ﷺ في الحديث الأول **(في كل ذات كبد رطبة أجرا)** كناية عن حصول الأجر والثواب إن شاء الله عند عطف الإنسان المسلم على كل كائن حي مهما صغر حجمه أو قل شأنه . وهذا درس نبوي يربي الإنسان على ضرورة الإحسان إلى كل كائن حي وابتغاء الأجر بذلك عند الله سبحانه . وفي الحديث الثاني إرشاد وتوجيه تربوي نبوي إلى كيفية تحقيق ذلك الإحسان عندما أتى الرسول ﷺ بمثلين لتوضيح صور الإحسان أحدهما يتعلق بالإنسان وهو (القتل) والآخر يتعلق بالحيوان وهو (الذبح) فعند قتل الإنسان لموجب ينبغي اختيار الطريقة الأحسن والأسرع في إزهاق الروح لغرض إراحة المقتول وعدم تعذيبه . وعند ذبح الحيوان ينبغي أن يحد الإنسان شفرته (سكينه) ليريح ذبيحته وليسرع بعملية الذبح دونما تعذيب أو تمثيل . ولهذا جاءت تعاليم الدين الإسلامي والتربية الإسلامية بالنهي عن استخدام العظم والسن والظفر

والحجر والعصا ونحوها في عملية الذبح أو القتل . وما ذلك إلا لأن القتل والذبح حالتان كثيراً ما يغيب عن البال الإحسان فيهما ، فكان هذا الدرس التربوي النبوي العظيم يقضي بأن يراعي الإحسان في مختلف الحالات التي يمر بها الإنسان ، ولذلك فإن التربية الإسلامية وتعاليمها السامية حثت الإنسان على ضرورة مراعاة ذلك عند التعامل مع هذه المخلوقات فكان هذا الدرس التربوي النبوي الذي يربي المسلم على الإحسان في كل شيء بحسبه ، وقد ذكر أهل العلم عدة وسائل للإحسان في الذبيحة كما في الحديث الثاني منها :

أن يريح المسلم ذبيحته عند اضطجاعها ، وأن يجعل سكينه حادة ماضية حتى لا يطول الألم عليها ، وأن يخفي السكين إلى وقت الذبح ، وأن لا يحدها أمام بصرها ، وان تقاد إلى الذبح قوداً رفيقاً ، وان لا تذبح واحدة بحضرة أخرى ، وان تقطع الأوداج وهي عروق العنق . وهنا يحضرني قول الشاعر :

واحسن فإن المرء لابد ميت وانك مجزي بما كنت ساعيا

٥- إذا كان الإحسان في التربية الإسلامية مطلوب بين الإنسان والحيوان كما في الحديث فكيف به بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وإذا كان الإنسان يؤجر ويثاب عليه مع الحيوان فكيف يكون أجره وثوابه عندما يقوم به مع أخيه الإنسان !! إنه بلا شك سلوك نبيل ، وخلق جليل ، وإنها لتربية عظيمة تلك التي تحث على الرحمة والبر ، وتدعو إلى الرأفة والعطف ، وتنادي بالشفقة والإحسان . وهنا درس نبوي يربي المسلم على الشفقة والإحسان عند تعامله مع أخيه الإنسان حياً أو ميتاً ، وخاصة إن كان مسلماً مؤمناً موحداً . قال البستي :

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلا يدوم على الإنسان إمكان

٦- كثرة أبواب الخير وصوره وتعدد أوجه البر والإحسان وسهولة تحقيق ذلك للإنسان المسلم خاصة عندما يقصد بعمله الطيب واحسانه وجه الله ، ويبتغي به مرضاته . فقد تحقق في الحديث الأول الأجر الكبير والثواب العظيم بالعمل البسيط المتمثل في ملء الخف بالماء واسقاء الكلب العطشان . وتحقق ذلك أيضاً في الحديث الثاني بحسن القتل أو الذبح واستخدام الآلة الحادة والمناسبة للغرض . وفي هذا تربية للمسلم على أن كثيراً من أعمال الخير وصنائع المعروف لا تكليف فيها ولا مشقة ، ومن هنا يتحقق الأجر الكبير بالجهد اليسير ، قال تعالى : ﴿**إن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾ (التوبة ١٢٠) وقال تعالى : ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ (الرحمن ٦٠) . وهذا سر عظيم من أسرار عظمة التربية الإسلامية وجمالها وروعتها ومثاليتها وتميزها باليسر والسهولة والإحسان .

٧- ان التربية الإسلامية تربية كاملة وشاملة بدليل عدم اغفالها لهذا الجانب الإنساني الكريم والمبدأ الإسلامي الرحيم المتمثل في الرفق بالحيوان وهو ما نادى به معلم البشرية واستاذها الأعظم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، في حين يزعم الزاعمون من أعداء الإسلام وإدعائه بأنه مبدأ من مبادىء التربية الحديثة التي جاءت من بلاد الغرب ناسين أو متناسين أن من ينادي في هذا الزمان بمبدأ الرأفة والرفق بالحيوان وينشيء لها الجمعيات ، ويعقد لها المؤتمرات ، ويورث لها الثروات ، هم أنفسهم الذين أهدروا كرامة الإنسان وعرضوه مرة لمآسي الحروب ودمارها ، وتارة للجوع والمرض ، وثالثة للفقر والحرمان ، فصدق فيهم قول الشاعر :

موت امرىء في غابة جريمة لا تغتفر

وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر

٨- التوجيه التربوي النبوي للأمة بضرورة الحرص على العناية

بالحيوانات والرفق بها من قبل أصحابها والإحسان إليها سواءً في مطعمها أو مشربها أو تربيتها أو عند ذبحها ومن ذلك عدم تسييبها أو إهمالها عند عدم الإنتفاع بها حتى لا تتسبب في إلحاق الضرر بنفسها أو بغيرها . قال البستي :

من رافق الرفق في كل الأمــور فــلم

ينــدم عــليه ولم يذمــه إنســان

الصدقة وقيمة الخير

عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**على كل مسلم صدقة**» قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : **فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق** ، قالوا : فإن لم يستطع أو لم يفعل ؟ قال : **فيعين ذا الحاجة الملهوف** ، قالوا : فإن لم يفعل؟ قال : **فليأمر بالخير أو قال بالمعروف** ، قال : فإن لم يفعل ؟ قال : **فليمسك عن الشر فإنه له صدقة**» (متفق عليه) .

اشتمل هذا الحديث الشريف على عدد من الدروس التربوية التي نبعت من أطهر معين واكرمه ، وجاءت في توجيه نبوي رائع ، وفي اسلوب تربوي فريد لأفراد الأمة الإسلامية ، لتكون عوناً لهم على تكوين الفرد الصالح وبناء المجتمع الفاضل الذي تغمره السعادة وتربطه رابطة المودة ، وتنتشر فيه الرحمة والشفقة والسعادة ، ومن الدروس التربوية النبوية في هذا الحديث ما يلي :

١- أن الصدقة وهي ما يعطى للفقراء والمحتاجين لوجه الله سبحانه أمر مفروض على كل مسلم ، ينبغي أن يتربى عليه وأن يتعود على أدائه منذ الصغر بمختلف الطرق وشتى الوسائل وفي كل المناسبات وهذا درس نبوي يرغب في الصدقة ويشجع المسلم على أدائها خاصة إذا ما كان قادراً عليها .

٢- أن أبواب الخير كثيرة ، وأوجه البذل والعطاء في سبيل مرضاة

الله متعددة ، وفرص أداء الصدقة لها الكثير من الصور والكيفيات ، وعلى الفرد المسلم أن يتربى على معرفتها وأن يتعود على أدائها والمحافظة عليها دائماً ، فإن تعسر عليه خصلة منها فلينتقل إلى غيرها ، فكل تلك الصور - إن شاء الله - تعدل في ثوابها ثواب الصدقة وأجرها .

٣- الحث على إعانة ومساعدة المحتاج كالأعمى والمعاق ، ومسح رأس اليتيم ، ومد يد العون للآخرين كإرشاد الضال واسعاف المريض ونصرة المظلوم ونجدة المستغيث ، سواء كان عاجزاً أو مظلوماً وإعانته بالفعل أو بالقول أو بهما معاً . والدعوة التربوية إلى خدمة الآخرين من أبناء المجتمع ، والمساهمة في الأعمال الخيرية والمشاريع النافعة ونحوها .

٤- الدعوة النبوية التربوية إلى الأمر بالمعروف بشتى الصور والأشكال كبذل النصح والإرشاد ، وتقويم صاحب السلوك المنحرف ، وتحذير الظالم والنهي عن الغش بصوره المختلفة ، والنهي عن المنكر بمختلف الوسائل ، وعدم موافقة أصحاب السلوك الغير تربوي أو التعاون معهم ، لما في ذلك من اصلاح للفرد والمجتمع ، قال الشاعر :

لا تزهدن في اصطناع العرف من أحدٍ
وان امرؤ يحرم المعروف محروم
الخير يبقى وإن طالت مغبته
الشر ما عاش منه المرء مذموم

٥- أن من الأعمال الصالحة ما يكون سلبياً بمعنى أن لايتطلب ذلك من الفرد أداء شيء ما ، وإنما يكون بكف الأذى والإمساك عن الشر بقصد القربة إلى الله سبحانه وتعالى قولاً وفعلاً ونية . وفي ذلك يقول فضيلة الشيخ الدكتور / عبدالرحيم الطحال :

«لأن ذلك بداية لخطوة ايجابية ، فالتخلية عن الرذائل يتبعها

التحلية بالفضائل» وهذا فيه تربية نبوية عظيمة للنفس البشرية الأمارة بالسوء ، وضبط لنوازعها ، وتهذيب لشهواتها ورغباتها .

٦- أن الصدقة لاتنحصر في بذل المال فقط ، وان لها العديد من الصور والأشكال والأنماط السلوكية التي تعود على المجتمع وأفراده بالخير العميم ، والنفع العظيم ، وتدفع عنهم الشر والفساد إن شاء الله . وقد جاء في «جامع العلوم والحكم» : أن من أنواع الصدقة ما كان نفعه متعدياً إلى الغير كالإصلاح وإعانة الآخرين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنها ما هو قاصر النفع على صاحبه فقط . وهنا درس نبوي تربوي شامل لكل أعمال الخير وصور المعروف سواء كانت في حق النفس أوَ في حق الغير فإنها تكون في حكم الصدقة لأنها من المعروف الذي يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى ، لما رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

«**كل معروف صدقة**» وفي ذلك يقول الشاعر :

وحـــيثما كنت فأمر بالجـميل ولا
تخش سوى الله من قاصٍ ومن داني

٧- ان على المؤمن أن يكون عمله خيراً كله لا لنفسه فقط وإنما لخير نفسه وخير غيره لقول الرسول ﷺ : «فينفع نفسه ويتصدق» وبذلك تتحقق المقولة المشهورة :

«المؤمن كالغيث أينما وقع نفع بإذن الله» وهنا درس نبوي يربي المسلم على أن يكون نافعاً لنفسه ولغيره من الناس بقدر استطاعته ، فلا يدخر وسعاً في نفعهم وجلب الخير لهم ، ودفع الشرور عنهم . وهذه ميزة تربوية اسلامية تربي في الفرد حب الخير ، وتنمي في نفسه الميل الفطري لحب الخير وخدمة الآخرين ومساعدتهم احتساباً للأجر والثواب

من الله .

٨- مراعاة التربية النبوية الكريمة لظروف الناس واختلاف قدراتهم وتباين أحوالهم ، وهو ما يسمى في التربية الحديثة بمراعاة الفروق الفردية ، حيث أن في الحديث درس تربوي نبوي يفيد تسلية للعاجز عن فعل المندوبات إذا كان عجزه عن غير اختيار .

الصلاة طريق لطهارة المجتمع

عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا : لا يبقى من درنه شيء ؛ قال : «فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا» (متفق عليه) .

وعن جابر - رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ :

«مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمرٍ (كثير) على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات» (رواه مسلم) .

مع نور وضياء مع هدي معلم الناس الخير ﷺ ، ومع صورة مشرقة من البيان النبوي البليغ يتحدث فيها ﷺ عن الصلاة وهي عماد الدين وقاعدته المتينة وركيزته الأساسية التي قال فيها الحق سبحانه : **﴿واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾** (الروم ٣١) . ولأن الصلاة تعد أول العبادات العلمية الواجب على المسلم القيام بها ، فقد جاء في الحديثين أنها تكفر الذنوب وتمحوها وتزيلها كما يزيل الماء ما على الجسم من قذر . لأن المسلم عندما يذنب فيشعر بخطئه ثم يندم ويتوب إلى الله من ذلك الذنب ، فإن عليه أن يتحلى بالطهارة والنظافة التي تطهر يده التي امتدت للشر ، وتطهر وجهه ومافيه من حواس من آثار المعاصي ،

وتطهر قدمه التي يمشي بها بعيداً عن طريق الحق وصراطه المستقيم . ثم يعود إلى الله سبحانه ليقف بين يديه مصلياً له لائذاً ببابه ، مستغفراً لذنبه ، راجياً رحمته ، طالباً عفوه . كل ذلك سعياً منه إلى الطهارة الحقيقية المتمثلة في طهارة القلب والوجدان . ومن الدروس التربوية النبوية في هذين الحديثين مايأتي :

* استخدام الرسول ﷺ لأحد الأساليب التربوية ، وهو اسلوب الحوار اللطيف المثمر مع الصحابة - رضوان الله عليهم - عندما طرح عليهم سؤالاً وطلب منهم الإجابة ، ليشركهم معه في الحديث ، وليستثير أفكارهم ، ويحرك عقولهم ، ويركز حواسهم ، ويهيىء أنفسهم لاستقبال ما سيلقيه عليهم من معلومات تمثل الإجابة على ذلك السؤال الذي طرحه سابقاً . وبذلك تحصل الإجابة الواضحة ، ويتحقق معها الإقناع والإقتناع النابع من أعماق صاحبه ، فتثبت المعلومة ، وترسخ في النفس ، وتتحقق الغاية التي من أجلها طرح هذا السؤال بهذه الطريقة . وهنا درس نبوي تربوي يدعو المعلم إلى اشراك المتعلم معه في موضوع الدرس ، وعدم استئثاره بذلك وحده أو الاتيان به بشكل القائي .

* أن أداء الصلوات الخمس وسيلة لمحو الذنوب الصغيرة التي قد يرتكبها الإنسان في يومه وليلته . فتكون بذلك وسيلة لتصحيح المسار الإنساني فتظل صحيفته نقية صافية ، وهذا يعني أن انتظار المسلم للصلاة بعد الصلاة حاجز أو مانع يمنعه من ارتكاب المعاصي والوقوع في الذنوب والخطايا . وهنا درس نبوي يربي العزيمة ويقوي الإرادة في نفوس المصلين ، فلا يقعون في المعاصي والمنكرات . قال تعالى : ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ (العنكبوت ٤٥) . كما ان في ذلك درس للتربية الوقائية التي تقي المسلم - بإذن الله- من الوقوع في ما حرم

الله سبحانه .

* إن أداء الصلاة يستلزم طهارة الفرد المصلي ، وهذا يعني أن يتخلص من النجاسات والأقذار الحسية بالوضوء أو الغسل ثم يقف بين يدي سبحانه ليصلي فيتخلص بذلك من الآثام والذنوب الصغيرة ويحيط نفسه بسياج يمنعه من الآثام والذنوب الصغيرة ويحيط نفسه بسياج يمنعه من المعاصي والآثام الكبيرة وبذلك تتحقق التربية الروحية المعنوية . قال أبوالأعلى المودودي في كتابه (مبادىء الإسلام) : «إن الصلاة هي التي لا تنفك تدعم أساس اسلامك خمس مرات في كل يوم ، وهي التي تذكرك دائماً بالعقائد التي تنحصر فيها طهارة نفسك ، وارتقاء روحك ، وصلاح أخلاقك وأعمالك» .

* استخدام الرسول ﷺ لطريقة تربوية فاعلة ومؤثرة ، وهي ضرب المثل للصلاة بماء النهر الغزير الجاري ، وهذا اسلوب تربوي بياني واضح ، لأنه يساعد على توضيح الأهداف التربوية المراد أيضاحها من الحديث . كما ان في ذلك تقريب للمعنى إلى الأذهان وربط له بواقع الحياة المحسوس . فالصلاة تزيل الذنوب وتمحو الخطايا كما يزيل الماء الطاهر الكثير الأدران والأقذار من جسد الإنسان ، لا سيما إذا كرر ذلك مرة وحينا بعد حين .

* الحكمة الإلهية التي أرادها الله سبحانه من توزيع الصلوات الخمس على مدار اليوم والليلة ، لتكون صلة الإنسان دائمة مستمرة مع ربه ، فما ان يحين وقت الصلاة حتى يتوضأ ويصلي ويذكر الله ويظل ينتظر الصلاة التي تليها . وهكذا على مدار اليوم والليلة فتتربى النفس على ديمومة الصلة بالله سبحانه وتعالى والمحافظة على الطهارة . وفي ذلك تربية روحية تصل بين العبد وربه جل وعلا ، ولا تمكن منه

الشيطان الذي يتصيد النفوس الغافلة عن ذكر الله ، والبعيدة عن الصلة به سبحانه .

* حث التربية الإسلامية على أفضلية أداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، لما في ذلك من أثر في تربية النفوس وبنائها ، وتجديد صلتها الروحية بالله سبحانه بين حين وآخر ، فلئن كانت الطهارة ضماناً لنظافة الأبدان ونشاطها ، فإن الصلاة ضمان لنقاء الأرواح وصفائها ، لما لها من دور في استمرارية الصلة بين العبد وربه ومقاومة الأهواء ، ومحوها للخطايا والآثام . ثم لأن الإنسان عندما يؤدي الفريضة في حينها فإنه يشعر براحة نفسية تسري في جميع جسده بعكس مالو أخرها عن وقتها أو تكاسل عن أدائها في حينها .

فيا أبناء أمة الإسلام ، أين نحن من هذا الخير الذي يرفع الله به الدرجات ويمحو به السيئات ويزيد فيه من الحسنات ؟!

أين نحن من هذا الفضل الذي يطهر الأبدان ويزكي النفوس؟!.

أين نحن من هذا الحديث ومافيه من دروس عظيمة ، وللهمعاني مباركة ، وأخلاق فاضلة؟!

سلوكيات إسلامية

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «**إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله . فإذا قال : يرحمك الله ؛ فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم**» (رواه البخاري) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ «**كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه (أي فمه) وخفض - أو غضَّ - بها صوته**» . (رواه أبوداود والترمذي وصححه) .

من الآداب الإجتماعية التي حرصت عليها التربية الإسلامية واهتمت بشأنها ، آداب العطاس التي جاء الحث على التأدب بها والتحلي بفضائلها لتكون شعاراً اسلامياً ، وسلوكاً مميزاً لهذه الأمة المسلمة ، وليشيع استعمالها بين الصغير والكبير من أبناء المجتمع ، لما لها من آثار تربوية عديدة تعكس بدورها صورة واضحة عن مدى ترابط المجتمع المسلم الذي اهتم بحياة أفراده اهتماماً لم يترك معه جزئية مهما كانت بسيطة إلا ووضع لها مايناسبها من التشريعات المثالية المباركة سواءً كانت دينية أو دنيوية . وقد اشتمل كل من هذين الحديثين الشريفين على بعض الدروس التربوية النبوية نجملها فيما يلي :

* أن على العاطس أن يحمد الله بعد العطاس ، وأن يرفع صوته

بذلك شكراً للمنعم على هذه النعمة والمنفعة الصحية التي حصل عليها بدنه . لأن العطاس محمود إذ به تخرج الأبخرة الضارة المحتقنة في الخياشيم والأنف . ثم لأن العطاس ظاهرة طبيعية تدل على النشاط والإنتباه واليقظة الذهنية وخفة البدن وانفتاح المسام ، بعكس التثاؤب الذي يدل على الخمول والكسل . وهذا فيه درس تربوي يحث على الإكثار من قول «الحمد لله» لأن حمد المنعم على نعمه سلوك نبيل وخلق جميل وأصل أصيل من أصول التربية الإسلامية السامية .

* أن على من سمع عاطساً يحمد الله بعد عطاسه أن يشمته بأن يقول له : «يرحمك الله» . لقوله ﷺ : «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه**» (رواه مسلم) .

ومن هنا نرى أن التشميت لا يكون إلا لمن حمد الله بعد العطاس ، أما من لم يحمد الله فلا يشمت لأنه لم يراع ماينبغي عليه مراعاته من أدب مع الله سبحانه ، ولم يتمسك بآداب النبوة التربوية . وهذا فيه درس نبوي ومعنى تربوي عظيم ينم عن ذوق رفيع بين أبناء الإسلام الذين يتصيد كل فرد منهم الفرصة المناسبة للدعاء لأخيه والتودد إليه .

* مراعاة وضع اليد أو طرف الثوب أو المنديل على الفم والأنف أثناء العطاس لما في ذلك من ستر لهما ، إضافة إلى أن في ذلك درس نبوي يربي المسلم على مراعاة بعض القواعد التربوية الصحية حيث أن تغطية فتحتي الفم والأنف أثناء عملية العطاس تمنع تطاير الرذاذ منهما فلا يتلوث المكان بها قد يضر بالصحة أو يكون سبباً لاشمئزاز الآخرين وتضايقهم .

* محاولة خفض الصوت المصاحب للعطاس من قبل العاطس والذي عادة مايكون مفاجئاً ومزعجاً لمن هم حول العاطس . ويكون

ذلك اما بغض الصوت وخفضه أو بتغطية الفم والأنف كما سبق باليد أو طرف الثوب أو المنديل . وهذا درس يربي المسلم على مراعاة الآخرين واحترام مشاعرهم ، والتزام بآداب التربية النبوية التي تحرص على هدوء المسلم وكمال سمته ووقاره وتمسكه بهدي النبوة فقد روي عن النبي ﷺ قوله : «إن الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس» رواه ابن السني .

*استغلال التربية الإسلامية لكل جزئية في حياة المسلم مهما كانت بسيطة ومهما كانت عفوية لتكون مناسبة طيبة وفرصة ثمينة لتذكيره بنعمة الله سبحانه عليه ، وربطه بخالقه العظيم جل وعلا مرة بالذكر ومرة بالشكر ومرة بالقول وأخرى بالعمل ، ولا ريب فهذا هديه ﷺ وهذه تربيته الإسلامية التي لا تخلي الموقف من ذكر أو دعاء أو قول حسن أو عمل طيب يقربه من الخير ويبعده عن الشر .

* عدم استبدال هذه العبارات المباركة والألفاظ المأثورة بغيرها كما يلاحظ في وقتنا الحاضر كقول : «آسف ، أو عدم المؤاخذة ، أو المعذرة ونحوها» . لما في ذلك من مخالفة لهدي النبوة وتعاليم الإسلام ، ولأن في التقيد بما ورد عن النبي ﷺ من ألفاظ الحمد والرحمة والهداية ثواب وأجر - إن شاء الله - واحياء لسنة نبوية مباركة ، واقتداء بهدي المعلم العظيم ، إضافة إلى ان في ذلك تميز للشخصية المسلمة التي تستعمل هذه الألفاظ وتحافظ عليها لتكون بذلك مستقلة بهذا السلوك متميزة به عن غيرها حتى في هذه الجزئية البسيطة .

* حرص التربية الإسلامية الشديد على توثيق عرى المحبة والأخوة الإسلامية في النفوس وذلك حينما تربيهم على حمد الله وسبحانه بعد حصول نعمة العطاس ثم فتح باب المسابقة لمن هم حول العاطس

فيسارعون بالدعاء بالرحمة ، ثم مكافأته لهم كرد للجميل على حسن دعائهم له بدعاء أشمل ، يفيض بمعاني الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

كل هذا يربي أبناء الإسلام على المحبة واللطف والخلق الفاضل والعاطفة الكريمة والشعور الطيب والمتبادل الذي يعزز في نفوسهم وشائج الأخوة ودواعي الشفقة والرحمة .

فيا أبناء الإسلام ، ويا تلاميذ المدرسة المحمدية ، هذه آداب التربية النبوية في العطاس ، وهذه دروسها الخالدة ، وتعاليمها السامية ، وما علينا إلا أن نحرص على التحلي بها والتخلق بأخلاقها ، والعمل على إفشائها وتطبيقها في حياتنا الإجتماعية وتعاملنا اليومي مع الآخرين .

صفات مهلكة

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم**» : رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً لا يبايع إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفي ، وان لم يعطه منها لم يف» (رواه البخاري ومسلم) .

تحرص التربية الإسلامية على أن تكون مسيرة المسلم في حياته واضحة بينه ، لا لبس فيها ولا خلل ، ولا غش ولا خداع ، ولا مكر ولا خيانة . ولذلك فإن معلم الناس الخير ﷺ لم يترك طريقاً من طرق الخير إلا دل أمته عليه ، ولم يترك سبيلاً من سبل الشر إلا حذر أمته منه ، حرصاً منه ﷺ على تحقيق الغايات النبيلة ، وبلوغ الأهداف السامية التي لابد لها من جهود جماعية ، تتحد فيها القلوب ، وتتشابك فيها الأيدي ، وتصفو فيها النفوس حتى تشاد صروح الفضيلة في الأمة ، ويقام بنيان الأخلاق في المجتمعات .

وقد اشتمل هذا الحديث الشريف على تحذير شديد من ثلاث خصال مهلكات لمن اتصف بها أو تربى عليها ، لما لها من آثار مؤلمة في الحياة الدنيا ، وعواقب وخيمة في الدار الآخرة . ومن الدروس التربوية

النبوية في هذا الحديث مايلي :

* أن البخل صفة ذميمة ، وخصلة مقيتة ، تعني منع الحق عن مستحقيه . وقد ورد النهي عن البخل في قوله تعالى : ﴿**ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه**﴾ (محمد ٣٨) ، وفي حديث عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ : «**خصلتان لا يجتمعان في مؤمن ، البخل وسوء الخلق**» (رواه الترمذي وأورده البخاري في الأدب المفرد) .

والبخل من أقبح الصفات البشرية ، وأسوأ الأخلاق الإنسانية لأنه يتنافى مع سمات المجتمع المسلم الذي ينبغي أن يكون مجتمع التكافل والتضامن والتعاون . قال الشاعر :

وآمرة بالبخـــل قـــلت لها اقصري فليس إليه مـــا حـــييت سبيل
أرى الناس إخوان الكريم وما أرى بخـيلاً له في العـــالمين خليل

والبخل دليل على خبث النفس ولؤم الطبع وحب السيطرة والحرص على التملك ومنع الآخرين من فضل الله ، فهو بذلك سلوك مرفوض ، وطبع غير مقبول في حياة المسلم وتعامله . لما فيه من منع لمصالح الناس وتعطيل لمنافعهم واستئثار بالخير والفضل دونهم .

وفي الحديث درس نبوي تربوي ينهى عن اتصاف المسلم بهذه الصفة، لما لها من آثار وخيمة على نفسه وعلى علاقته بمجتمعه ، الأمر الذي يترتب عليه البعد عن الله وانتشار العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع ، إضافة إلى العاقبة السيئة في الآخرة لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم - أن النبي ﷺ قال :

«**من منع فضل مائة وفضل كلئه منعه الله فضل سله يوم القيامة**» (رواه أحمد) .

* ان الغش صفة خبيثة تعني عدم الإخلاص في القول والعمل ،

كما أنها صفة سيئة لها العديد من الصور والكثير من الطرق فمنها الغش في التجارة بيعاً أو شراءً ، والغش في العمل والمعاملة ، والغش في النصيحة ، والغش في الامتحانات ، والغش في القول . . . الخ ويأتي النهي النبوي عن الغش لأن فيه كذباً ومكراً ، وخديعة وغرراً بالآخرين الذين صدقوا الأيمان الباطلة والزعم الكاذب من الغشاش ، ولذلك جاء النهي عن ترويج البضاعة أو السلعة بالحلف الباطل والأيمان الكاذبة لما في ذلك من محق للبركة ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة– رضي الله عنه – قوله : سمعت النبي ﷺ يقول : «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب**» وعن أبي قتادة الأنصاري – رضي الله عنه – أنه سمع الرسول ﷺ يقول : «**إياكم وكثرة الحلف في البيع ، فإنه ينفق ، ثم يمحق**» (رواه مسلم والنسائي) . ومن هنا فإن المسلم لا يمكن أن يغش أو يخدع أو يكذب ، لأن تربيته صافية نقية لا مكان للغش والخداع والكذب فيها . ومن كانت هذه طباعه وهذا سلوكه كان – والعياذ بالله– منسلخاً من الإسلام لقوله ﷺ : «**من غشنا فليس منا**» (رواه مسلم) . وهنا درس تربوي يدل على أن المجتمع المسلم قائم على الحب ، عامر بالمودة تسوده النصيحة الصادقة ، وتغلب على أفراده صفات الصدق والوفاء والطيبة فلا مكان فيه لغشاش أو مخادع أو مراوغ أو كذاب .

* ان الغدر صفة قبيحة تعني ترك العهد وعدم الوفاء به ، وهو سلوك تربوي ذميم لأنه مخالف لقوله تعالى : ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً**﴾ (الإسراء ٣٤) . ثم لأنه جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه سبحانه :

«يقول الله عز وجل : **ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة** (ذكر منهم) **رجل أعطى بي ثم غدر**» (رواه البخاري ومسلم) . وإنما جاء التحذير من

الغدر لأن فيه إخلال بنظام الحياة ، وإفساد للمصالح ، وهو ضرب من الكذب والخداع . وله عدة صور وألوان فمنه الغدر في العمل ، والغدر في القول ، والغدر في الأمانة ، والغدر في العهد والوعد . وهو صفة سلوكية عدائية تنبىء عن نية خبيثة وباطن قبيح ، وحقيقة شريرة وفعل شنيع ، كما أنه انحراف سلوكي خطير حتى أن النبي ﷺ لم يكتف بنبذ من كان الغدر صفة له بعيداً عن مجتمع المسلمين في الدنيا ، بل أعلن أن كل غادر سيحشر يوم القيامة وهو يحمل لواء غدرته للتشهير به ، فقد جاء في الحديث عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال الرسول ﷺ : «**لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال : هذه غدرة فلان**» (متفق عليه) . وهذا يعني أن ينظر إليه أصحاب الموقف ثم يعذب جزاء غدره ، وما ذلك إلا لأن الغدر جريمة كبرى وإثم عظيم . ومن صفات الغادر أن صحبته لا تدوم ، وأنه يجامل ويخادع مادام له غرض أو حاجة ولذلك ينزع الناس ثقتهم به فيصبح منبوذاً حقيراً . قال ابن المقري :

والغدر في الناس طبع لا تثق بهم

وان أبيت فخذ في الأمن والوجل

وهذا فيه درس نبوي يربي المسلم على أن يكون وفياً بوعده وعهده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وفي ذلك يقول الشاعر محذراً من الغدر :

لا تقـــولن إذا مــــا لم ترد   أن تتم الوعدفـي شيء نعم

وإذا قلت نعم فاصبر لها   بنجاز الوعد إن الخلف ذم

* الوعيد الشديد لأصحاب هذه الصفات الثلاث من الله سبحانه سبحانه والمتمثل في أنه عز وجل لا يكلمهم يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ، كل هذا فيه زجر وتعنيف لمن اتصف بهذه الصفات . وهنا درس نبوي يفيد أن الترهيب بالعقاب والوعيدبالعذاب أحد أساليب التربية الإسلامية التي تؤثر في القلوب ،

وتقع في النفوس وقعاً مؤثراً يدفعها بالتالي إلى تصحيح المسار .

* أن محور هذه الصفات السيئة الثلاث يقوم على منع الآخرين من حقوقهم إما بالبخل والشح ، أو بالغش والخديعة ، أو بالغدر وعدم الوفاء . وهنا درس نبوي يربي المسلم على البعد عن هذه الصفات الثلاث وماشابهها أو دار في فلكها ، لما لها من نتائج دنيوية مدمرة ، وعواقب وخيمة سواءً على مستوى الفرد أو الجماعة حيث انها تتنافى مع المبادىء السامية والأخلاق الفاضلة التي تحرص التربية الإسلامية على توفرها في الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم القائم على البذل والعطاء ، والصدق والصفاء ، والأمانة والوفاء .

فيا معشر المسلمين ، لماذا لا نتخذ العظة والعبرة من هذه الدروس النبوية المباركة؟! ولماذا لا نتجنب هذه الصفات السلوكية الخبيثة التي لا تليق بالمسلم ولا تتفق مع آدابه وسلوكه .

ولماذا لا ننزه أنفسنا منها ، ونطهر واقعنا من الإتصاف بها ، ونحمي حياتنا من حصادها المر ونتائجها المؤلمة .

حلاوة الإيمان

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (رواه البخاري ومسلم) .

أنفع المحبة على الإطلاق واوجبها واعلاها واجلها ما يجب على المسلم أن يتربى عليه من محبة تكفل له الشعور بحلاوة الإيمان ولذة العبادات المفروضة ، وكراهية المعاصي والمحرمات . وهذه الحلاوة لا تحصل كما جاء في الحديث إلا عند توفر ثلاث خصال سنتعرض للحديث عنها - إن شاء الله - فمحبة الله هي حياة القلوب ، وغذاء الأرواح ، وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها . ومن الدروس التربوية النبوية في هذا الحديث مايلي :

١- أن البدء بالعدد «ثلاث» فيه اسلوب تربوي يقوم على عنصر التشويق وإثارة السامع ، الذي ينفتح قلبه ويستعد عقله ، ويصغى سمعه ، وتنتبه حواسه لمعرفة ما هي هذه الثلاث . وهنا درس نبوي نستشف منه جمال الأسلوب ، وروعة البيان ، والقدرة البلاغية النبوية التي طالما أسرت الأسماع وأخذت بمجامع القلوب .

٢- ضرورة محبة الله ورسوله ﷺ لما في ذلك من تحقيق لأوامر الله

سبحانه ، واتباع لسنة رسوله ﷺ ، ولأن محبتهما لازمة فلا تفيد محبة أحدهما دون دون الآخر . وليس هذا فحسب بل من الضرورة أن يتربى المسلم على تقديم محبتهما على من سواهما من جميع الخلق ، ولو كان في ذلك مخالفة لهوى النفس ورغباتها .

٣- ان حلاوة الإيمان تعني لذة الطاعات وكراهية المعاصي ، وهي مرتبة لا يصل إليها المسلم إلا بتوفر ثلاث خصال من تحققن فيه وجد هذه الحلاوة في قلبه وذاق طعمها . قال النووي في معنى حلاوة الإيمان : «استلذاذ بالطاعات وتحمل المشاق في رضي الله عز وجل ورسوله ﷺ ، و إيثار ذلك على عرض الدنيا» وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في «فتح المجيد» : «الحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره ، وهي شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم». وهنا درس نبوي حوّل مفهوم الإيمان في هذا الحديث من كونه أمر معنوي إلى أمر ذوقي ، نشعر معه بإنشراح في الصدر ، وسعادة في القلب، ولذة إيمانية تسري في الجسد في كل حال ، سراء كانت أو ضراء. ولذلك قيل : «المحب لا يجد للدنيا لذة ، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين» .

٤- الخصلة الأولى وتتمثل في ان يكون الله سبحانه ورسوله ﷺ أحب إلى المسلم مما سواهما من مخلوقات وأموال وأولاد وأرزاق ونحوها . قال تعالى : **﴿قل إن كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** (التوبة ٢٤) . وجاء في «فتح المجيد» :

«محبة الله تستلزم محبة طاعته ، فإنه يحب من عبده أن يعطيه ، كما

أن من لوازم محبة الله أيضاً محبة أهل طاعته كمحبة انبيائه ورسله والصالحين من عباده» فكان لابد من تربية العبد على هذه الخصلة التربوية القائمة على محبة تعظيم وشكر وولاء وطاعة . لأن ذلك من أرقى أنواع المحبة الذي يترتب عليه اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه . قال بعض أهل العلم : «كل من ادعى محبة الله تعالى ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطل» وقال ابن المبارك :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحــب لمـن يحب مطيع

وقال يحيى بن معاذ : «ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده» . وقال بعضهم :

وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحـباب خـدام

كما جاء في السنن عن النبي ﷺ قوله : «**من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله ، فقد استكمل الإيمان**» وقال الشاعر :

إذا كان حب الهائمين من الــورى
بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا
فماذا عسى أن يصنع الهــائم الذي
سرى قلبه شــوقاً إلى العالم الأعلى

أما محبة رسول الله ﷺ فهي جزء من محبة الله ، لأنها تقتضي اتباع سنته وهديه وأدبه وتربيته ، واجتناب نهيه ، وطاعته فيما أمر به من قول أو فعل . قال تعالى :

﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ . فما محبة الرسول ﷺ إلا طريق ووسيلة إلى محبة الله لنا ، ودليل على حبنا لله سبحانه . وهنا درس نبوي يربى المسلم على محبة الله سبحانه ومحبة رسوله ﷺ ، محبة قلبية صادقة

يتطابق فيها القول باللسان والعمل بالجوارح بمقتضى هذه المحبة . فإن عمل الإنسان بجوارحه شيئاً يخالف ذلك أو ارتكب بعض مايكرهه الله ورسوله ﷺ ، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع قدرته عليه دل ذلك على نقص هذه المحبة ، وهذا بدوره يستوجب العمل على تكميل هذه المحبة ، فعن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده ، والناس أجمعين» (رواه البخاري) .

قال الشافعي :

يا آل بيـــت رســـول الله حـــبكم
فـــرض من الله في القـــرآن أنـــزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم
من لم يصـــل عليـــكم لا صلاة له

وفي أبيات يخاطب فيها الشيخ عائض القرني رسول الله يقول :

نســينا في ودادك كل غــالٍ فأنت اليوم أغلى مالدينا
نلام على محبتكم . . . ويكفي لنا شرفاً نـلام ومــا علينــا
تســلى الناس بالدنيـــا وإنا لعمر الله بعــدك ماسـلينا

٥- الخصلة الثانية وتتمثل في أن يقتصر حب المسلم لأخيه المسلم على الحب في الله ، وهي محبة سامية نقية خالية من الأغراض الدنيوية والمصالح الإنسانية ، وهذه المحبة تختلف عن محبة الله سبحانه لأن غير الله عز وجل يحب في الله لا مع الله . وهي محبة تستلزم أن يعود المسلم نفسه على محبة من أحب الله من المحسنين والمتقين والصالحين والتوابين والمتطهرين ، وبغض المفسدين والخائنين والمنافقين والمستكبرين ، وعدم موالاة أعداء الله أو مايكرهه الله عموماً ، ليكون الدين كله لله . وهذا فيه

تربية للمسلم على السمو الإنساني في الحب الذي يجعل منه حباً خالصاً لوجه الله خالياً من العلائق والشوائب الدنيوية الزائلة الفانية . ولذلك جاء في الحديث : «**رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**» (متفق عليه) . وجاء في وصف المتحابين في الله يوم القيامة ماروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن الله سبحانه ينادي عليهم ليجعلهم على منابر من نور فيقول : «أين المتحابون في جلالي ، لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» (رواه الترمذي) .

وهنا درس نبوي يربى المسلم على واحد من أهم أصول العلاقات الإجتماعية الكفيلة بأن يعيش الناس في سعادة وهناء دونما حقد أو بغضاء ، أو ضغينة أو حسد . وماذلك إلا بالأخوة في الله والمحبة في الله . وهذه خصلة تربوية إيمانية اجتماعية كفيلة (إن شاء الله) بتحقيق وإيجاد المجتمع المسلم المثالي الذي تسعى إليه التربية الإسلامية .

٦- الخصلة الثالثة وتتمثل في أن يكره المسلم أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار ، لما تربى عليه من محبة للدين الإسلامي والعقيدة الصحيحة ، وكراهية للرجوع إلى الكفر والمعاصي ، بعد أن منَّ الله سبحانه عليه بنور الإيمان وضياء الإسلام .

ولنا في قصة اسلام سعد بن أبي وقاص خير مثال على هذه التربية ، فعندما أسلم امتنعت أمه من الطعام والشراب حتى يرجع عن اسلامه ، ولكن محبته رضي الله عنه لله ولرسوله ولدينه ولعقيدته جعلته لا يبالي بحال أمه بل قال لها : «والله لو كانت لك ألف نفس ، فخرجت نفساً نفساً ، ماتركت ديني هذا بشيء» وهنا درس نبوي يصور لنا فيه معلم البشرية كراهية العودة إلى الكفر ككراهية القذف في النار ، لشدة التمسك بالإيمان وبالعقيدة والحرص عليها والإعتزاز بها والتضحية من أجلها

والدفاع عنها . وفي ذلك بعد تربوي يتمثل في حب المؤمن للحق ، وكراهيته للباطل . ومن هنا فعلى المؤمن تقوية إيمانه حتى يكون أقوى من كل مايتحمل أن يلقاه من إيذاء أو ابتلاء في سبيل ذلك الإيمان . ولذلك فقد جاء ان امرأة من السلف أوصت أولادها فقالت لهم : «تعودوا حب الله وطاعته ، فإن المتقين ألفوا بالطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها . فإن عرض لهم الملعون (يعني ابليس) بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون»

٧- ان حلاوة الإيمان مرتبطة بوجود هذه الخصال الثلاث مجتمعة لأنها عبارة عن سلسلة مترابطة الحلقات ، لاينفك بعضها عن بعض . قال ابن تيمية :

«أخبر النبي ﷺ «ان هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان» وقال أيضاً : «فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور : تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها، فتكميلها أن يكون الله سبحانه ورسوله ﷺ أحب إلى العبد مما سواه ، وتفريعها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان (وهو الكفر) كما يكره أن يقذف في النار» .

وهنا درس نبوي يوضح للمسلم أن كمال الإيمان يعني أن يجد حلاوة ولذة هذا الإيمان حينما تبنى تربيته على الحب لله ورسوله ﷺ ، والحب في الله ، والبغض في الله. جعلنا الله وإياكم ممن يحبهم الله ويحبونه والله أعلم .

صور رائعة للتكافل الإجتماعي

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

«**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه**» (رواه مسلم) .

ديننا الإسلامي الحنيف ، دين المحبة والإحسان والمعاملة القائمة على مبدأ التكافل الإجتماعي ، ذلك المبدأ الإنساني العظيم الذي جاءت به تعاليم الإسلام ونادت به منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، عندما دعا معلم البشرية الأكبر واستاذ الإنسانية الأول ﷺ الأمة إلى تفريج الكروب عن المكروبين ، وإلى التيسير على المعسرين ، وإلى مديد يد العون للمحتاجين ، وإلى ستر أحوال المسلمين . يقول سيد قطب- رحمه الله - في كتابه «دراسات اسلامية» :

«وهكذا سار الإسلام في تهذيب المشاعر الإنسانية ، وتكوين الآداب والعادات الإجتماعية ، التي يمكن أن يلتقي الناس على أساسها ، وان يتعاونوا في يسر ، ويتكافلوا في طواعية . لأن أسباب هذا التكافل نابعة من ضمائرهم ، منبثقة من مشاعرهم ، وليست مفروضة عليهم من خارجهم بحكم القانون» .

والتكافل الإجتماعي بين المسلمين لا ينحصر في دائرة المال فقط ، وإنما يشمل كل شأن من شؤون الحياة لقوله تعالى : ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون**﴾ .

من هنا جاءت عبارات هذا الحديث لتوضح لنا صورة نبوية رائعة من صور التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع المسلم التي متى تحققت كانت كفيلة - بإذن الله - ببناء المجتمع المسلم والحفاظ على قوته وتماسكه وأسباب سعادته الدائمة . إضافة إلى أن الحديث قرر واحداً من أهم الأصول التربوية النبوية والمتمثل في أن الجزاء من جنس العمل . ومن الدروس التربوية النبوية في هذا الحديث مايلي :

* الدعوة النبوية إلى تفريغ الكروب عن المكروبين من المؤمنين ، والكربة هي ما أهم النفس وغم القلب وأحزن الخاطر . وقيل : هي كل مكروه يقع للإنسان فينقبض قلبه منه . وهذا فيه درس تربوي يحث على العمل على ادخال السرور إلى قلوب المؤمنين ، والسعي في قضاء حوائجهم ودفع الشر عنهم والحرص على نفعهم بالمال والجاه والنصح وقول المعروف والمشاركة في الأفراح والأحزان . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

«**من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها، كان خيراً له من اعتكاف شهرين**» (أخرجه الحاكم وصححه) .

* الحث النبوي على التيسير على المعسرين أما بالهبة أو الصدقة أو التجاوز عن الدين أو بالإنظار إلى ميسرة لقوله تعالى : ﴿**وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**﴾ (البقرة ٢٨٠) . ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «كان تاجر يداين الناس ، فإذا

رأى معسراً قال لصبيانه : تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه» (رواه الشيخان) .

وهذا درس نبوي يربي المسلم على التيسير في المعاملات والتساهل في طلب قضاء الدين ، والتسامح إذا أمكن ذلك لما فيه من الأجر والثواب والتقرب بذلك من الله سبحانه ، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة ، فلينفس عن معسرٍ أو يضع عنه» (رواه مسلم) . كما أن في ذلك درس نبوي آخر يربي المسلم على الرحمة والشفقة والعطف على الآخرين ، وعدم التكليف أو المشقة عليهم .

* الحث النبوي على ستر أحوال المسلمين والتغاضي عن نقائصهم وعيوبهم فيما بينهم ما أمكن . فالبشر بطبعهم عرضة للوقوع في الخطأ والزلل . ثم لأن هذا الأمر لا يتعلق بالفرد فحسب ، بل يتعلق بسائر الأفراد وسمعة المجتمع عامة فلا يظهر فيها العيوب ولا يشيع الفاحشة ، ثم ان كل انسان معرض للوقوع في الخطأ إلا أن وقوعه ذلك قد يكون سبباً في توبته وندمه وإقلاعه عن ذلك الخطأ ، ولذلك فهو لا يحب أن يعرف ذلك الخطأ عنه فيفتضح أمره . ولذلك جاءت تعاليم الإسلام بالنهي عن إشاعة الفاحشة والأمر بسترها . قال تعالى :

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ (النور ١٩) .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن سمع النبي ﷺ يقول : «**من ستر على المؤمن عورته ستره الله يوم القيامة»** (رواه أحمد) .

وهنا درس نبوي يربي المسلم على ستر عيوب الآخرين ما أمكن ،

وعدم إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم ليظل طاهراً نقياً ، ولما لذلك من آثار سيئة ونتائج وخيمة ، ولأن ستر العاصي أو المذنب وعدم التشهير به وفضحه بين الناس قد يدفعه إلى الإقتناع النفسي والمعالجة الذاتية لنفسه المريضة فيقلع عن ذنبه ويبتعد عن خطيئته ويتوب إلى الله جل وعلا . قال البستي :

وان أساء مسيىء فليكن لك   في عروض زلته صفح وغفران

وقال غيره :

و إذا ائتمن على السرائر فاخفها   واستر عيوب أخيك حين تطلع

* الحث على التعاون والمساعدة والنصرة لكل محتاج من أبناء الإسلام سواءً بالقول أو بالعمل مادام في ذلك طاعة لله ولرسوله ﷺ ، وقضاء لحوائج المسلمين ومنافعهم لقوله تعالى :

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة ٢) ولما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال : «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**» . وروى أحمد من حديث بنت الخباب بن الارت رضي الله عنه قالت : «خرج خباب في سرية ، فكان النبي ﷺ يتعاهدنا حتى يحلب عنزة لنا في جفنة لنا فتمتلىء حتى تفيض ، فلما قدم خباب حلبها فعاد حلابها إلى ماكان » . وكان أبوبكر الصديق رضي الله عنوه يحلب لأهل الحي أغنامهم ، وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان يتعاهد الأرامل ويستقي لهن الماء بالليل .

ومن الأمثلة العظيمة في ذلك ماورد عن مجاهد قال : «صحبت ابن عمر رضي الله عنه في السفر لاخدمه فكان يخدمني» . وعن الحسن أنه أمر ثابتاً البناني بالمشي في حاجة فقال : أنا معتكف . فقال له :

«ياأعمش ، أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك خير لك من حجة بعد حجة» قال الشاعر :

وكن على الدهر معواناً لذي أمل   يرجو نداك فإن الحر معوان

وهذا فيه درس نبوي يربي المسلم على مد يد العون والمساعدة لإخوانه وقضاء حوائجهم بالنفس أو المال أو بالشفاعة ، وأن يسارع إلى تفريج عسرهم وتقريب يسرهم ما استطاع ، ونصرتهم برفع الظلم عنهم لما في ذلك من تحقيق لقوة هذا المجتمع وترابطه وإشاعة المحبة بين أفراده، وتوطيد العلاقات الإجتماعية بينهم ، فلولا التعاون لما كان للحياة بين الناس طعم ولا قيمة .

* الدعوة النبوية الكريمة إلى التمسك بهذه الخصال التربوية المثالية ، والصفات السلوكية الرائعة ، والترغيب فيها لما لها من ثمار طيبة ونتائج حسنة في بناء المجتمع المسلم وتحقيق مبدأ التكافل الإجتماعي بين أفراده والمحافظة عليه . وإشاعة الحب والإخاء بين أفراده ليكون الجميع صفاً واحداً ويداً واحدة لا تفرقهم العنصرية ولا القومية ولا الوطنية ولا العرقية ولا غيرها من الشعارات الزائفة والمذاهب المضللة ، ثم لأن في تحقيق هذه الخصال السامية والعمل بها إرضاء لرب العالمين سبحانه ، واتباع لهدي المرسلين ﷺ ، ومدعاة لنيل الثواب وحصول الأجر في الدارين - إن شاء الله - قال تعالى : ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ (الحج ٧٧) . وقيل :

خير أيام الفتى يوم نفع   واصطناع العرف أبقى مصطنع
ماينال الخير بالشر، ولا   يحصد الزارع إلا مازرع

* ان الجزاء من جنس العمل درس عظيم من دروس التربية النبوية ، وأصل أصيل تقوم عليه حياة المؤمن ، فمن عمل خيراً جزي بمثله لما

جاء في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً : «أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمن على عري كساه الله من خضر الجنة» (رواه الترمذي) . وهذا فيه تربية للمسلطم على المسارعة إلى الخير والتنافس في ذلك والطمع فيما عند الله سبحانه . قال تعالى : ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن ٦٠)
وقال الشاعر :

وسارع إلى الخير وبادر به | فإن من خلفك ما تعلم
وقدم الخير فكل امرىء | على الذي قدمه يقدم

فيا شباب الإسلام ، هل لنا من عودة إلى ذاك المنهل العذب ؟ وهل لنا من رجعة إلى التمسك بتعاليم هذا الهدى النبوي العظيم ؟ وهل يمكن أن نحول هذه المشاعر الطيبة في حقل التكافل الإجتماعي إلى عادات وسلوكيات واستجابات عملية؟!!

التقوى دعامة الخلق

عن أبي ذر جندب بن جنادة ، وأبي عبدالرحمن معاذ بن جبل - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قال : «**إتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن) .

مع هذا الحديث المبارك نستعرض هذه الوصية النبوية التربوية التي تمثل باقة جديدة من هدي سيد المرسلين في توجيه أفراد الأمة المسلمة إلى كل من شأنه الخير والصلاح . فلا خير في الإنسان إذا لم يخف الله سبحانه ويتقيه ، ولا خير فيه إذا تعرى عن الفضائل وأقبل على الرذائل ، ولا قيمة له إذا لم يكن عنده أدب فاضل وخلق حسن ، وهذا ما نلمسه من هذه الوصايا النبوية التربوية التي وردت في هذا الحديث ، ومن الدروس التربوية النبوية فيها مايلي :

* «اتق الله حيثما كنت» أي أجعل التقوى منهجاً لحياتك كلها . والتقوى وصية الله سبحانه للأولين والآخرين ، ومن معانيها استحضار العبد ان الله جل جلاله مطلع عليه في سره وعلنه ، وفي يقظته ومنامه ، وفي ليله ونهاره ، وفي قوله وعمله . واصل التقوى ان يعلم العبد مايتقي ثم يتقي . قال ابن المعتمر :

خـل الذنـوب صغـــيرها وكبيرها فـهـــو التـــقي

واصـنع كماشٍ فـوق أرض الشـــوك يحــذر ما يرى

لا تحــقـــرن صغـــيرة إن الجبــال من الحصى

وقد قيل ان التقوى كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات . كما عرَّف الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه التقوى بأنها : العمل بالتنزيل ، والرضى بالقليل ، والخوف من الجليل ، والاستعداد ليوم الرحيل . وبذلك تكون التقوى قائمة على قوة مراقبة الله سبحانه وهي بذلك تقابل النفس اللوامة وهي النفس التي يقع منها الحساب كما يقع عليها . وهنا درس نبوي يربي المسلم على غرس الدوافع الإيمانية في النفس وبخاصة تلك الدوافع التي تسيطر على العبادات والأقوال والأفعال ونحوها من السلوكيات والعلاقات الإنسانية المختلفة . ومن هنا نرى أن استقامة الفرد المسلم ومثاليته إنما تكون نابعة من التربية الإسلامية القائمة على الإلتزام والشعور الداخلي المسمى «بالتقوى» والذي جاء كنتيجة للإيمان الكامل بأن الله سبحانه ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾ (غافر ١٩) . و ﴿**ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**﴾ (آل عمران ٥) . ولذلك ورد أن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - كان ينشد قول الشاعر :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحــسبن الله يغفل ســـــاعة ولا أن ما يخـفى عليه يغيب

* «واتبع السيئة الحسنة تمحها» أي يا أيها الإنسان المسلم إذا مازلت بك القدم وارتكبت سيئة قولية أو فعلية فلا تعتبر ذلك نهاية المشوار وخاتمة المطاف ، ولكن عد إلى الله سبحانه واستغفره وتب إليه واندم على مافات منك . قال تعالى : ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا**

تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ (الزمر ٥٣) . وقال سبحانه : **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾** .

ومن هنا كان على المسلم المذنب أن يسارع إلى اتباع السيئة بحسنة تدفعها وتمحوا بها آثار تلك السيئة من القلب ، فالحسنات يذهبن السيئات . وفي هذا درس تربوي نبوي للمسلم على عدم الإستسلام للشر ، وعدم الإستمرار في الخطأ ، والحرص على العلاج والمبادرة إليه باتباع السيئة الحسنة مهما كانت بسيطة . فعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» (رواه ابن ماجة) . وقد يراد بالحسنة التوبة من تلك السيئة وتصحيح المسار مرة أخرى والإقبال على عمل الطاعات من فرائض ونوافل وذكر واستغفار ونحوها . وهذا بدوره مدعاة لتنظيف وتطهير النفس من آثار المعصية والخطيئة . قال الشاعر :

سبحان من يعطي ونخطىء دائماً ولم يزل مهما هفا العبد عفا

*«وخالق الناس بخلق حسن» وصية عظيمة جامعة لحقوق الله سبحانه وحقوق عباده ودعوة نبوية تربوية إلى معاملة الناس بالحسنى وإلى كف الأذى عنهم . فقد ورد في الحديث قوله ﷺ :

«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق» (رواه أبويعلي والبزار . ويدخل في هذا المعنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أنه سئل : ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال : **تقوى الله وحسن الخلق**» (رواه أحمد وابن ماجة والترمذي وصححه ابن حبان) . وعن الحسن أنه قال :

«حسن الخلق : الكرم والبذل والإحتمال» . وعن ابن المبارك قال :

«هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى» وقال الإمام أحمد : حسن الخلق ان لا تغضب ولا تحقد» وعنه أنه قال : «حسن الخلق ان تحتمل مايكون من الناس» . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» (رواه أحمد وابوداود .

وهذا يعني أن معايشة الناس ومسايرة أبناء المجتمع تحتاج إلى نظام تربوي واسلوب سلوكي يكفل المحبة والصلاح والإصلاح وكف الأذى ، فحسن الخلق من خصال التقوى وهو وسيلة تربوية تؤدي إلى تأليف القلوب ولين الطباع وتربية النفوس على الفضائل وتنزيهها عن الرذائل . قال الشاعر :

وكن حسن السجايا وذا حياء   طليق الوجه لاشكساً غضوباً

وقال غيره :

أحب مكارم الأخلاق جهدي   وأكره أن أعيب وأن أعـــابا

* الدعوة التربوية النبوية إلى معاشرة الناس والتعايش معهم بأخلاق حسنة وفاضلة ، والحث على معاملتهم بالحسنى واللطف حتى وان كان تعاملهم بعكس ذلك ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله : « **ألا أدلكم على أكرم أخلاق أهل الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك**» (رواه الطبراني من حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه) وهذا درس تربوي نبوي يدعو إلى أن يكون المسلم إيجابياً في كل أحواله وأفعاله وأقواله . قال الصغدي :

وان بليت بشخص لا خلاق له   فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

* الحث على اتباع أحد الأساليب التربوية القائمة على محاسبة النفس الذاتية . وهذا بدوره مدعاة إلى تصحيح المسار مرة أخرى ، والتخلص من كل ما من شأنه الإستمرار في الخطأ ، وتوجيه السلوك

الإنساني إلى الإتجاه الصحيح ، وهذا فيه درس نبوي يدعو إلى التربية الذاتية للمسلم بمعنى أن يكون الإنسان مربياً لنفسه بتوجيهها إلى الخير ومنعها من التمادي في الشر .

والله أعلم . . .

التربية والشخصية المسؤولة

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته : الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته»** وفي رواية زاد : **«والرجل راعٍ في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته»** (متفق عليه) .

يحرص الإسلام على أن يكون المسلم صاحب ضمير يقظ ، يخاف الله سبحانه ويراقبه في كل حركاته وسكناته ، ويقوم بما عليه من حقوق وواجبات، ولذلك فقد حدد مسؤولية كل فرد مسلم، فالمسؤوليات تختلف والمهام تتنوع وتتباين . ولذلك جاء هذا الحديث النبوي ليبين المنهج التربوي النبوي للمسؤولية عن كل فرد مهما كان دوره بسيطاً، ومهما كان حجم هذه المسؤولية ، فوضح الحديث ان كل إنسان راعٍ في ما استرعي عليه، ومسؤول عما تحت يده من شؤون رعيته . وبذلك نصل إلى أصل من اصول التربية الإسلامية يتمثل في أن حياة المسلم قائمة على الشعور بالمسؤولية، ومن ثم أداء الحقوق والقيام بالواجبات. ومن الدروس التربوية النبوية في هذا الحديث مايلي :

١ – انه ليس هناك انسان مسلم بالغ عاقل راشد الا وهو مسؤول

عن أمر من الأمور يديره ويتولاه. ولابد له من رعية يرعاها ويسأل عنها في الدنيا أو في الآخرة. لقوله ﷺ: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة**» (متفق عليه). وهنا درس نبوي يربي المسلم على الشعور بالمسؤولية وعلى الاهتمام بشؤون من هم تحت مسؤوليته، وضرورة القيام بواجباتهم وحقوقهم، وفي ذلك تقرير للمسؤولية وتربية على الإهتمام بالأمور الشخصية والجماعية. وحقوقهم، وفي ذلك تقرير للمسؤولية وتربية على الإهتمام بالأمور الشخصية والجماعية.

٢- إن كل مسلم راعٍ ومسؤول مهما صغر شأنه أو قلت مسؤوليته، فإن من لم تكن له رعية يرعاها ويهتم بها كان راعياً على نفسه واعضائه وجوارحه وقواه وحواسه وكل ما وهبه الله، فلا يظنن أحد من الناس انه خال من المسؤولية أو خارج عن نطاقها. وهنا درس نبوي يربي المسلم على مايسمى بالرقابة الذاتية التي تجعل من الإنسان المسلم رقيباً على نفسه في جميع حركاته وسكناته، وأفعاله وأقواله، فإذا كان ذلك كذلك تحققت التربية الإسلامية المثالية التي تدعو إلى القول الجميل، والفعل الحسن، والأداء المتقن، وكان المسلم بذلك أرعى الناس على مايؤتمن عليه ويناط به من مهام ومسؤوليات.

٣- ان الإمام مسؤول عن كل من هم تحت امرته، ولذلك فعليه الإهتمام بهم والحرص على مصالحهم، والدفاع عن حقوقهم، والأخذ على أيدي المفسدين والمجرمين منهم بما شرعه الله من ضوابط لحماية المجتمع كتطبيق الشريعة وإقامة الحدود واتخاذ التدابير اللازمة لتوفير الأمن والأمان في المجتمع المسلم، ومن ذلك عدم المشقة عليهم ومحاولة الرفق بهم لقول الرسول ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً، فشق

عليهم، فاشقق عليه. ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم فارفق به» (رواه مسلم).

وفي البدء (في الحديث) بالمسؤول الأول في بنيان الدولة وهو الإمام درس تربوي يصور عظم مسؤولية الإمام في المجتمع لكونه مسؤولاً عنه كله، بمن فيه. كما يوضح ان الامام أو الحاكم مسؤول عن كل ما من شأنه صلاح أمر رعيته، وان عليه أن يدرك أن كل فرد في الأمة متساو امامه في الحقوق دونما تفضيل أو تفريق أو تمييز لفرد على الآخر. وليس هذا فحسب بل ان الأمر لا يقتصر على مسؤولية الرعية من البشر وإنما يشمل الرعية من غيرهم، وهو مانلمسه من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله عنها، لما لم تصلح لها الطريق ياعمر؟!) فكان على الإمام الإهتمام برعيته والمسارعة إلى تفريج عسرهم، وتقريب يسرهم، فالمسؤولية في الإسلام تكليف لا تشريف.

٤ – ان الرجل وهو رب الأسرة وراعيها مسؤول عن أفراد أسرته ومن هم تحت ولايته، وخاصة الوالدان والأولاد والزوجة، فعليه ان يحسن رعايتهم وان يهتم بشؤونهم وتربيتهم التربية الصالحة، وعليه النفقة عليهم والحرص على تعليمهم وتأديبهم وتوفير مايحتاجون إليه من مسكن ومطعم ومشرب وملبس. وان يعدل بينهم في المعاملة وان يتقي الله في كل شأنهم فيكون عيناً ساهرة تحرسهم من أي شيء قد يؤثر على دينهم أو دنياهم أو يفسد أخلاقهم كإهمال تربيتهم وكمشاهدة الأفلام الخليعة وسماع الأغاني الماجنة والتعرض للأفكار الهدامة ومخالطة رفاق السوء واصحاب الإنحرافات السلوكية والأخلاق الفاسدة. ولعلنا ندرك مدى عظم هذه المسؤولية إذا علمنا أن أهم ما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة هم أهله واولاده، قال تعالي :

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ (التحريم ٦) .

٥- إن للمرأة مكانتها ومسؤوليتها العظيمة في رعاية الأسرة والحفاظ على بنائها وكيانها فهي مؤتمنة على تربية النشء وتوجيههم والمحافظة على المال والممتلكات والعرض، وان تؤدي حقوق الزوج فعليها ان تسره إذا حضر، وان تطيعه إذا أمر، وان تحفظه إذا غاب في نفسها وماله وولده. وان تكون عوناً له على أمر دينه ودنياه، وان تحسن تدبير شؤون منزلها، ولذلك فإن مسؤوليتها عظيمة ومهمتها جليلة فكان الواجب أن تتربى على احترام هذه المسؤولية وان تعد لها إعداداً جيداً، وفي ذلك يقول الشاعر:

من لي بتربية النســــــاء فإنها
في الشرق عـــلة ذلك الإخفاق
الأم مدرســــــة إذا أعــددتها
أعــددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعـــــهده الحيا
بالري أورق أيـــما إيـــــراق
الأم اســتاذ الأســـاتذة الأولى
شـغلت مآثرهم مـدى الآفاق

وقال الشاعر :

وإذا النساء نشأن في أميةٍ   رضع الرجال جهالة وخمولا

٦- ان الخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن ما كلف به من عمل ولذلك فعليه ان يقوم بهذا بكل أمانة وإخلاص وان لا يقصر أو يفرط في

شيء منه، وان يحفظ ما اؤتمن عليه من التلف أو الضياع، وان يسدي النصح لسيده فيما يراه صالحاً ونافعاً. قال الشاعر:

وارع الأمـــانة والخـــيانة فاجـــتنب

واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب

٧- ان الولد مسؤول عن أموال أبيه وأملاكه، ولذلك وجب عليه حفظها وتنميتها واستثمارها فيما أحل الله، وعدم صرف المال إلا فيما أمر الله به، وهذا بدوره يعني عدم الإسراف أو التبذير أو التبديد أو الخيانة أو السرقة. كما ان من الواجب على الولد عدم التصرف في مال والده إلا بإذنه وبعد استشارته. وهنا درس نبوي يربي الولد على حسن رعاية مال والده وعدم العبث به.

٨- عناية واهتمام التربية الإسلامية بالأسرة المسلمة، ولذلك جاء النص النبوي الكريم على مسؤولية أفرادها (رجلاً وامرأة وولداً) . وهنا درس نبوي يوضح أهمية دور الأسرةالتربوي في بناء المجتمع المسلم لكونها اللبنة الأولى في هذا البناء، والبيئة أو الوسط التربوي الأول الذي يؤثر على تربية الفرد المسلم وتوجيهه وتعليمه طوال حياته.

٩- ان في تكرار عبارة «كلكم راع ومسؤول عن رعيته» تأكيد على عظيم معناها وشموليته للإنسان في كل مكان وزمان، كما ان في ذلك درس تربوي نبوي يدعو إلى عدم حصر المسؤولية في ماورد في الحديث من أمثلة، فالكل مسؤولون والجميع رعاة، لأن الحديث يفيد العموم، فالأمير في إمارته، والوزير في وزارته، والكاتب في مكتبه، والتاجر في متجره، والمدرس في مدرسته، والصحفي في صحيفته، والعامل في عمله، والجندي في ثكنته، والمهندس في مصنعه، والطبيب في عيادته، والمرأة في بيتها، وهكذا. قال تعالى:

﴿وان عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ماتفعلون﴾

(الإنفطار ١٠-١٢)

والله أعلم . . .

التربية ومسؤولية التغيير

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم) .

لا يجادل أحد في ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل عظيم من أصول دين الإسلام، وليس هناك من يماري إطلاقاً في وجوبه وضرورته الملحة للمجتمع المسلم ، ولكن المشكلة تتمثل في عدم فهم البعض من أبناء الأمة لفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يجعل منه منهجاً علمياً بعيداً عن المزاجية الشخصية أو التوترات العصبية أو العواطف النفسية أو الفوضى الإجتماعية ونحوها . وحتى لا يترك هذا الجانب أو يهمل او يسأ فهمه فيترتب عليه مايترتب من مفاسد ومضار - لا سمح الله - فإن معرفة وادراك معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل منه منهجاً يحمي - بإذن الله- المجتمع من الرذائل والمفاسد . ولذلك لم يجعله وسيلة لكشف عورات المسلمين وإيذائهم، أو وسيلة للتشهير بهم والإنتقام للنفس منهم وإنما جاء هدي النبوة ليعدد مراتبه وليضع ضوابطه وليحدد مسؤولياته سواءً كانت على مستوى الفرد والجماعة أو السلطة الحاكمة . وهذا مانلمحه في هذا الحديث ومافيه من

دروس تربوية نبوية نستخلص منها مايلي :

* ضرورة تغيير المنكر متى رؤي فإن كان مستوراً فلا يتعرض له ولا يفتش عنه . والمنكر هو ماكان على عكس المعروف أو مالم يوافق الشرع ، ولا يتفق مع العرف السليم من الأمور الحياتية والعادات والتقاليد والطباع والصفات الإنسانية والسلوكية والإجتماعية ونحوها ، وفي هذا درس تربوي نبوي يوضح أن النهي عن المنكر وتغييره هو بمثابة الصيانة للمجتمع المسلم من انتشار الفساد والحماية منه وعدم اتاحة الفرصة لإستشراء الشر والحرص على عدم الإنحراف السلوكي لأبنائه .

* ان المنكر إذا لم يغير في بدايته (صغيراً كان أو كبيراً) فإنه سيصبح مع الأيام شيئاً مألوفاً وطبعاً معروفاً ، ومن ثم يتحول إلى سلوك عادي في المجتمع وعندئذ يصعب الحد منه أو انكاره أو التخلص منه مهما كان خطره ومهما عظم ضرره . قال الشاعر :

لا تحقرن من الذنوب صغيرا إن الصغير غداً يصير كبيرا

وهذا فيه درس نبوي يربي المسلم على المتابعة والمراقبة وعدم الغفلة عن أي أمر يحتمل أن ينشأ عنه ضرراً مستقبلياً سواءً لصاحبه أو بمجتمعه أو بيئته، ثم لأن في انكار المنكر في بدايته ردع للآثم عن اثمه ، ومحاولة لتدارك الأمر قبل فوات الأوان.

* التدرج التربوي النبوي في طريقة العلاج لأي منكر مهما اختلفت صوره وتنوعت أشكاله وهذا يفيد ان العلاج التربوي النبوي كما يقول الشيخ الداعية عبدالحميد كشك :

«يكون بالمرهم لا بالمشرط ، وباللطف لا بالعنف ، وباللين لا بالقوة» ومن هنا نرى ان تحقيق النتائج وجني الثمار لا يكون بالضرورة من أول محاولة للعلاج وإنما قد يكون بعد المرور بعدة مراحل تدريجية

وخطوات علاجية . فإنكار المنكر ينبغي ان يكون بالرفق ما أمكن، ولذلك قال سفيان الثوري : «لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال : رفيق بما يأمر رفيق بما ينهي ، عدل بما يأمر عدل بما ينهى ، عالم بما يأمر عالم بما ينهي» . وكان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه إذا مروا بقوم يرون منهم مايكرهون يقولون : «مهلاً رحمكم الله ، مهلاً رحمكم الله» .

وهذا درس نبوي يدعو إلى الرفق واللطف في كيفية انكار المنكر لأنه أجدى وانفع من الزجر والتعنيف والقسوة والشدة .

* إن العلاج النبوي الذي أرشد إليه معلم البشرية ﷺ يكون على مراتب ثلاث :

●● اليد التي لها القدرة على التغيير والإزالة العملية .

●● اللسان الذي يتولى الكلام والنصح والوعظ والإرشاد والتوجيه .

●● القلب الذي ينكر ولا يغير .

وهذا يعني ان بعض الحالات تستدعي التدرج من مرحلة إلى أخرى في حين لا تستدعي بعض الحالات إلا مرحلة علاجية واحدة فقط .

* ان الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحده واحدة ومهمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببعضها البعض فلا يمكن تجزئتها أو فصلها فالنهي عن المنكر مثلاً يستوجب الأمر والإرشاد والتوجيه إلى المعروف والمألوف الذي لا شبهة فيه ولا ريبة ولا شطط وهذا بدوره دعوة إلى الخير ونهي عن الشر والفساد .

* ان انكار المنكر مسؤولية كل فرد مسلم صغيراً كان أو كبيراً ،

ذكراً أو انثى ، عالماً أو متعلماً ، ليكون الجميع حراساً على وحدة الأمة المسلمة وصيانتها من كل شر يراد بها . ولكن هذه المسؤولية تختلف من شخص إلى آخر بحسب المقدرة والإستطاعة والفقه الشرعي والحكمة المطلوبة في هذا الشأن . قال تعالى :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران ١٠٤)

ويتضح هذا الأمر إذا ما علمنا ان النهي عن المنكر خصلة من خصال الإيمان وصفة من صفات المؤمنين وعبادة يثاب عليها من قام بها ابتغاء مرضاة الله سبحانه لقوله ﷺ : «**ونهي عن منكر صدقة**» .

* ان من قدر على طريقة من الطرق أو وسيلة من الوسائل العلاجية فعليه ان يقوم بها لأنها تكون عندئذ واجباً . أما من لم يستطع على شيء من تلك الطرق والوسائل فلا حرج إن شاء الله عليه لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها وعلى حسب طاقتها وقدرتها واستعدادها . وهذا درس نبوي يحث على مراعاة الفروق الفردية والقدرات الشخصية التي تميز الناس بعضهم عن بعض فلا يطالب الإنسان بما لا يستطيع .

* ان تغيير المنكر بمراتبه الثلاث لا يسقط عن أحد أبداً ، فمن لم يقدر على التغيير بيده ، قدر على التغيير باللسان ، فإن لم يستطع كان التغيير عندئذ بالقلب الذي هو أضعف مراتب الإيمان وأدناها . قال تعالى : **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾** (التوبة ٧١) .

وهذا درس تربوي نبوي نرى من خلاله ضرورة تغيير المنكر بأي طريقة للمساعدة في سلامة المجتمع المسلم من الشرور والأخطار ومن ثم يتحقق التكيف اللازم بين الإنسان المسلم وبيئته أو مجتمعه . قال ابن

القيم رحمة الله تعالى عليه :

هذا ونصر الدين فرض لازم لا للكفاية بل علــى الأعيان
بيدٍ وأما باللسان فإن عجـــــزت فبالتوجه والدعا بجنان

* الوصف النبوي للمرتبة الثالثة من مراتب التغيير والإنكار وهي التغيير بالإنكار القلبي بأنها «أضعف الإيمان» فيه بعد تربوي عميق وحكمة بالغة من معلم الناس الخير ﷺ فإن نفع هذا الإنكار القلبي يكون سلبياً بمعنى أنه لن يتعدى صاحبه ، ولأن آثاره المادية على المجتمع المسلم ضعيفة وغير ظاهرة كما هو الحال في حالتي التغيير باليد أو اللسان وما لهما من نتائج واضحة وثمار ظاهرة .

* إن عدم الإنكار بالقلب يشير بطريقة غير مباشرة إلى أن صاحب هذا السلوك - والعياذ بالله - ضعيف الإيمان ، لأن الإنكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال فقد روي أن ابن عباس رضي الله عنه سمع رجلاً يقول : هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر . فقال ابن مسعود رضي الله عنه : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر . وهو رضي الله عنه يشير هنا إلى أن معرفة المعروف والمنكر فرض لا يسقط عن أحد ، فمن لم يعرفه هلك . قال ابن القيم :

مابعد ذا والله للإيمان حــبة خـــردلٍ ياناصر الإيمان

* إن في تأصيل قاعدة إنكار المنكر في المجتمع المسلم درس يربي أبناء الإسلام على الشجاعة والصدق والإقدام ، ويغرس في أنفسهم الغيرة على محارم الله ، ويشجعهم على الدعوة لمواجهة الباطل وانكاره وعدم السكوت عنه حتى لا يعرضـــون انفسهم ومجتمعهم لعقاب الله وغضبه ، فقد روي ان أبابكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» .

فيا شباب الإسلام ، لنكن جميعاً من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في البيت والمكتب والمدرسة والسوق والملعب والشارع وفي كل مكان ، وليكن منهجنا في ذلك قوله تعالى :

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل ١٢٥) .

والله أعلم . . .

الظلم ظلمات .. والشح مهلكة

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «**اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**» (رواه مسلم) .

جاء هذا الحديث مشتملاً على إرشاد نبوي كريم ، وتوجيه إسلامي رائع ، تربية نبوية عظيمة ، تقيم ميزان العدالة في شتى مسالك الحياة ، وتنظيم أمور الإنسانية ، فكان هذا التحذير التربوي النبوي من صفتين سلوكيتين خبيثتين هما الظلم والشح . فكلمة الظلم من أبشع الكلمات وأقساها وقعاً على النفس ، وقد قيل ان الظلم مرتعه وخيم، وعاقبته سيئة ، وجزاء صاحبه النار وخراب الدار . ومن صفات الإنسان المسلم المؤمن أنه لا يظلم ولا يظلم . قال تعالى : ﴿**لا تظلمون ولا تظلمون**﴾ (البقرة ٢٧٩) . وقال تعالى : ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ (٢٥٨ البقرة) . كما أن الشح رذيلة تدمر المجتمع وتقويض أركان الأمة، لما لها من مساويء ومماينتج عنها من مفاسد كبيرة على الأفراد والجماعات . قال تعالى : ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ (الحشر ٩) .

ومن الدروس التربوية النبوية التي اشتمل عليها الحديث مايلي :

١ - التحذير من الظلم وهو التعدي على حق الغير بدون حق أو

مبرر . وفي ذلك يقول ابن الجوزي : الظلم يشتمل على معصيتين هما :

(أ) أخذ حق الغير بدون وجه حق .

(ب) مبارزة الرب سبحانه وتعالى بالمخالفة والمعصية .

ومن هنا نرى أن الظلم في حقيقته سلوك عدواني مبني على التعدي إما على حدود الله سبحانه وهو أشد أنواع الظلم . وأما على حقوق الناس وممتلكاتهم الشخصية . وهنا درس تربوي نبوي يحذر من الظلم ويربي المسلم على تجنبه والبعد عنه ، فهو من الصفات الإنسانية السيئة ، والسلوكيات البشرية الخبيثة الهدامة . قال الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً — فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عينك والمظلـــــوم منتبه — يدعـو عليك وعين الله لم تنم

ولذلك فعلى المسلم محاربة الظلم وتطهير المجتمع المسلم منه ، حتى يستقيم ميزان العدالة فتنتظم العلاقة بذلك بين المالك والمملوك ، والقائد والمقود ، والرئيس والمرؤوس ، والآمر والمأمور ، والقوي والضعيف ، والكبير والصغير ، والغني والفقير .

٢- ان النتيجة الظلم وعاقبته حاصلة لا محالة ، فهي إن كانت في الدنيا كانت نذيراً بالخراب والدمار لقوله تعالى : ﴿**فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**﴾ (النمل ٥٢) . وإن كانت في الآخرة كانت أشد وانكى لأنها تكون استدراجاً من الله سبحانه للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، وحينها تكون ظلاماً دامساً كثيفاً يحل بصاحبه فلا يرى طريقه ولا يعرف مصيره المشؤوم ، ولا يقبل اعتذاره ، وتحل عليه اللعنة والغضب والطرد من رحمة الله سبحانه ، لقوله تعالى : ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾ (ابراهيم ٤٢) ولقوله تعالى : ﴿**يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار**﴾ (غافر٥٢) . وعن ابن

عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» (متفق عليه) وقال الشاعر البستي :

من يزرع الشر يحصد في عواقبه   ندامـــة ولحصـد الزرع إبان

وهنا درس تربوي نبوي يوضح نتيجة الظلم وعاقبته الوخيمة من باب الترهيب منه ، والحث على عدم اتيانه ، والتنفير من إتخاذه سلوكاً وخلقاً وطبعاً للإنسان - كفانا الله وإياكم منه - كما أن فيه إرشاد نبوي كريم ، وتوجيه إسلامي رائع من معلم البشرية يدعو فيه من حمل ظلماً أن يتحلل منه ، وان يؤدي ما عليه من مظالم وحقوق قبل أن يموت فيقع بذلك تحت طائلة العذاب الشديد ، قال تعالى : ﴿**وقد خاب من حمل ظلماً**﴾ (طه ١١١) .

قال البستي :

ياظالماً فرحاً بالعز ســـاعده   إن كنت في سنةٍ فالدهر يقظان

وقال صالح بن عبدالقدوس :

واحذر من المظـلوم سهماً صائباً   واعلم بأن دعاءه لا يحجب

وقال غيره :

وحـــق الله إن الظـــلم لـــؤم   وان الظـــلم مرتعـه وخـــيم

٣- إن الظلم ثلاثة أنواع كما ورد في كثير من كتب أهل العلم ، وهي :

(أ) الشرك بالله ، وهو أشد أنواع الظلم لأنه من المخلوق للخالق جل وعلا ، قال تعالى : ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**﴾ (المائدة ٧٢)

(ب) ظلم العباد لبعضهم البعض ، وهو سلوك محرم وطبع قبيح

وجرم عظيم ، لما فيه من اعتداء على حقوق الآخرين بغير حق . وغالباً مايكون واقعاً بالضعيف الذي لا يقدر على الإنتصار ودفع الظلم عنه . وأبشع صور هذا النوع من الظلم أن يظلم الإنسان قريبه أو صديقه أو نحو ذلك لأنه ظلم ممن ينتظر منه الإحسان والعطف وحسن المعاملة واللطف ، وفي ذلك يقول طرفة بن العبد :

وظلم ذوي القربى أشـد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

(ج) ظلم العبد لنفسه بالإنحراف عن منهج الله وطريقه الصحيح في هذه الحياة الدنيا ، وإتيان المحرمات وارتكاب المعاصي فيما بينه وبين من لا تسهى عينه ولا تنام . قال الشاعر :

والظلم من شيم النفوس وان تجد

ذا عـــفة فلعلـــه لا يظـــلم

وهنا درس تربوي نبوي يوضح تعدد صور الظلم ، واختلاف أشكاله وأنواعه وصوره ، فكان علينا الحذر منها والحرص على تجنبها والإبتعاد عن اتيانها ، حتى تنتظم الأمور ويسير موكب الحياة على خط مستقيم سليم بإذن الله سبحانه .

٤- إن الوعيد الشديد للظالمين والتحذير من صفة الظلم في هذا الحديث الشريف يقف بنا أمام قضية من قضايا الحياة الإنسانية الأساسية وهي قضية العدل الذي لا يمكن أن يتحقق إلا برفع الظلم والبعد عنه كصفة سلوكية فالعدل والحق كما يقول الشيخ عبدالحميد كشك في أحد كتبه قرينان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر . وهنا درس

نبوي يربي أفراد الأمة الإسلامية على تجنب الظلم وتحري العدل والحرص عليه . قال تعالى :

﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ (النحل ٩٠) .

٥- التحذير من الشح وهو البخل مع الحرص الشديد . وقيل هو أشد أنواع البخل . وقيل ان الفرق بين البخل والشح ان البخل يكون بالمال أما الشح فيكون بالمال وبعمل الخير ، ولذلك كان أعم بلاءً وأشد ضرراً . وهنا درس نبوي يربي المسلم على عدم الإتصاف بهذه الصفة الإجتماعية الشيئة أو التخلق بها لأنها منافية لما ينبغي أن تكون عليه أخلاق الإنسان المسلم في تعامله الإجتماعي من كرم وإحسان وانفاق للمال وبذله في أعمال البر ، وتقديم يد العون والمساعدة للآخرين . قال البستي :

ويا حريصاً على الأموال يجمعها
لا تنس أن سرور المال أحزان

وقال ابن عبدالقدوس :

لا تحرصن فالحرص ليس بزائد
في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب
ويظل ملهوفاً يروم تحيلاً
والرزق ليس بحيلة يستجلب

وقال غيره :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها   على الناس واعلم أنها تتقلب
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت   ولا البخل يبقيها إذا هي تذهب

٦- إن الشح إحدى الصفات السلوكية الإجتماعية السيئة في

نتائجها ، والوخيمة في عواقبها على الأمم السابقة حينما دفعتهم إلى سفك الدماء ، وقتل النفوس ، واستحلال المحارم ، وأكل الأموال بالباطل طمعاً في جمع المال والحرص عليه وعدم انفاقه بأي صورة من الصور . وكل ذلك يؤدي بالتالي إلى خراب الأمم ، ودمار المجتمعات ، وانهيار صرح الأخلاق، وانعدام معاني التكافل والتعاون والتضامن بين الأفراد . ومن ثم تعم الفوضى، وينتشر الفساد ، وتسوده العداوة، وتنعدم الثقة، وتختفي الرحمة، فلا يصبح للحياة معنى، ولا يكون للإنسانية وجود، ولا تقوم للمجتمعات قائمة .

٧- ان بعض الصفات السيئة تكون صغيرة في ظاهرها عظيمة في حقيقتها، فالشح مثلاً صفة سلوكية ذميمة تكون في بدايتها فردية، ولا يكاد ضررها يتجاوز صاحبها إلا أنها إذا ما انتشرت وعمت حتى تصبح صفة سلوكية إجتماعية يتربى عليها الصغار ويتمسك بها الكبار ، فإنها ستكون حينئذ مؤدية إلى خراب الأمم ، ودمار المجتمعات . وهنا درس تربوي نبوي يحذر من التربي على هذه الصفة القبيحة مهما كانت بسيطة ومحدودة، قال الشاعر:

لاتحقرن من الذنوب صغيراً   إن الصغير غداً يكون كبيرا

٨- ضرورة الإتعاظ بمن كان قبلنا من الأمم وبما حصل لهم من التجارب والمواقف السلوكية سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات . فإن العاقل من اتعظ بغيره ، وكان له فيما يراه ويسمعه سابقاً أو حاضراً عظة وعبرة ، حتى لا يقع في ما وقع فيه غيره . وهنا درس يربي المسلم على ضرورة الإستفادة من خبرات الآخرين وقصصهم ومواقفهم المختلفة .

٩- ان في الجمع بين هاتين الصفتين السلوكيتين الخبيثتين في هذا

الحديث بعد تربوي نبوي عظيم ، فكلا هاتين الصفتين مدمرة للإنسانية ومهلكة للبشرية ، ومتى ماوجدتا في مجتمع من المجتمعات كان هذا المجتمع مضطرباً مزعزعاً يائساً لا طعم فيه للحياة ، ولا وجود للقيم الفاضلة، ولا معنى للأخلاق الكريمة . فالظلم يؤدي إلى أخذ حقوق الآخرين والتعدي عليها ، في حين أن الشح يؤدي إلى منع الحقوق عن اصحابها وعدم دفعها لهم .

وجوه متعددة للصدقة

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**كل سلامي من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**» (متفق عليه).

الإسلام دين كله خير ، ويدعو إلى الخير ، ويحب الخير ، ويحبب في الخير ، ويربي أبناءه على الخير ، قال تعالى : ﴿**وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم**﴾ (البقرة ٢١٥) . وقال سبحانه : ﴿**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**﴾(البقرة ١٩٧) . وأبواب الخير في الإسلام كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وهذا دليل على ان الإسلام سلوك وعمل لا محل فيه للنفاق والجدل ، وفي هذا الحديث الشريف نرى ان ميدان التنافس في الخير والمسابقة إليه تتمثل في هذا الحديث الجامع ، الذي يسلط الأضواء الهادئة الكاشفة على وجوه الخير وميادين المنافسة والمسابقة إلى المعروف . ومن الدروس التربوية النبوية فيه مايلي :

١- نعمة ترتيب أعضاء جسم الإنسان ومفاصله التي ورد ان عددها ٣٦٠ مفصلاً لما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**انه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة**

مفصل» فكان ذلك من أعظم نعم الله على العبد ، ومن هنا وجب عليه ان يحمد الله ويشكره على هذه النعمة ، وان يتقرب إليه سبحانه بالصدقة ، فهو سبحانه الذي ركبها وسوى خلقها ظاهراً وباطناً ، ولو شاء لعطلها فلا يستطيع الإنسان القيام بأعماله وواجباته الدينية والدنيوية .
ومن هنا كانت الصدقة وحمد الله سبحانه سبب في بقاء هذه النعمة ، وعدم زوالها يقول الشيخ محمد بن سالم البيحاني في كتابه «اصلاح المجتمع» :

«إن الذي جعلك يا ابن آدم ناطقاً بلحم ، وسامعاً بعظم ، ومبصراً بشحم ، وأودع فيك مافيه ذكرى الذاكرين ، وعظة للمستبصرين ، جدير بألا تفتر عن عبادته ، ولا تقصر في طاعته ، ولا تصرف نعمه عليك في معصية»

قال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

٢- كثرة أبواب الخير وتعدد فرص الأعمال الصالحة ، فمنها مايتعلق بالإنسان نفسه ، ومنها مايرتبط بالآخرين ، ومنها مايكون قولياً أو فعلياً ، ومنها مايكون في خدمة المجتمع . وهذا فيه درس تربوي نبوي يرغب في الصدقة بمختلف أنواعها ، وعلى شتى صورها ، ويربي على فعل الخير ، وعلى البذل والعطاء والمساعدة للمحتاجين والضعفاء ، وفي ذلك تكافل اجتماعي وتوثيق للروابط والعلائق الأخوية بين أبناء المجتمع المسلم . وهذا يدعو إلى تربية المسلم وحثه على هذه الأعمال ، وعدم التفريط في أدائها رغبة في الحصول على الأجر والثواب .

٣- في الحديث مراعاة لأحد أهم المبادىء التربوية وهو مايسمى حديثاً بالفروق الفردية بين الناس ، وهذا يتضح في أن من قصد خصلة

من خصال الخير فتعسر عليه ذلك لعجزه أو عدم قدرته أو لأي سبب كان ، فإن عليه أن ينتقل إلى فعل غيرها مما فيه نفع وصلاح للمسلمين . وهنا درس تربوي نبوي فيه تسلية للعاجز عن فعل المندوبات إذا كان عجزه ذلك لسبب مقبول ، كما ان فيه مراعاة لعدم تكليف الإنسان مالا يطيقه ولا يقدر عليه من أعمال الخير وصنائع المعروف .

٤- التوجيه التربوي النبوي إلى أن الصدقة وأعمال الخير لا تنحصر في بذل المال وإعطائه للمحتاجين إليه فقط ، وإنما تكون في الأفعال الحسنة ، والأقوال الطيبة ، ونحوها مما يعود نفعه وصلاحه على الفرد وعلى المجتمع ، وكل ما من شأنه تأليف القلوب وتطييب الخواطر ، فقد جاء في الحديث قوله ﷺ : «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**» وقوله ﷺ : «**كل معروف صدقة**» (رواه الشيخان) . وفي ذلك يقول الشاعر :

لئن قالوا قبضت يديك بخلاً ولم تنفق كإنفاق الرجـال
أقول لهم : أخـــلائي ذروني فإنفاقي على مقدار حالي

٥- الحث النبوي الكريم على بعض الخصال التربوية الحسنة سواءً ما كان منها فردياً أو اجتماعياً أو قولياً أو فعلياً . وبيان أن الإنسان المسلم لا يعمل لخير نفسه فقط ، بل يعمل لخير نفسه وخير غيره ، فقد جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**على كل مسلم صدقة**» (رواه البخاري ومسلم) . وهنا درس تربوي نبوي يربي المسلم على البذل والعطاء ابتغاءً لمرضاة الله سبحانه ، وتعويد للنفس على الكرم وعلى الجود ونفع الآخرين من مساكين ومحتاجين . فتتحقق بذلك صفة تربوية إسلامية إنسانية وهي ان يكون المسلم نفاعاً للناس بقدر استطاعته . قال الشاعر :

خير من الخير مسدية إليك كما شر من الشر أهل الشر والدَّخل

وقال ابوالعتاهية :

خـــير أيام الفتى يوم نفع   واصطناع الخير أبقى ماصنع

٦- الخصلة التربوية الأولى في الحديث هي الإصلاح بين الناس في خلافاتهم وخصوماتهم، وهنا درس تربوي نبوي يحث على فضيلة الاصلاح بين الناس ، والعدل بينهم في خصوماتهم ومحاكماتهم ، والتدخل بينهم بما يعود على الجميع بالنفع والصلاح ، لأن في ذلك فائدة حسنة ، وثمرة تربوية اجتماعية تؤلف القلوب ، وتزرع المحبة في النفوس ، وتقضي على اسباب الفرقة والهجران والقطيعة بين أفراد المجتمع ، وتبقى المحبة قائمة بينهم . قال تعالى : ﴿**فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم**﴾ (الأنفال ١) . وقال سبحانه : ﴿**إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم**﴾ (الحجرات ١٠) كما ان الأحاديث النبوية وردت في فضل الاصلاح بين الناس بشكل كبير يدعو إلى ذلك ويحث عليه . قال الشاعر :

إن الفضـــائل كلها لو جمعت   رجعت بجمـــلتها إلى شيئين

تعظيم ذات الله جـل جلاله   والسعي في اصلاح ذات البين

كما ان في هذه الخصلة النبوية الإسلامية بعد تربوي اجتماعي وهو ضرورة وجود رجال مصلحين لهم خبرة بأحوال الناس ومعاملاتهم ، وكيفية جبر خواطرهم والسعي في التوفيق بينهم .

٧- الخصلة التربوية الثانية في الحديث هي مد يد العون والمساعدة للضعيف والعاجز والمحتاج ، وفي ذلك درس تربوي نبوي يدعو إلى التعاون ، ويحث على مساعدة المحتاجين . قال تعالى : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ (المائدة ٢) . ولذلك أثر تربوي يتمثل في تأليف القلوب ، وانتشار المحبة ، وروح التعاون . كما ان في ذلك تحقيق لمبدأ التكافل

الاجتماعي ، والتقارب النفسي بين أفراد المجتمع الإسلامي ، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه واعوانه ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ثم ان خير الناس انفعهم للناس ، قال الشاعر :

والناس للناس من بدوٍ وحاضرةٍ
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وقال غيره :

وكن على الدهر معواناً لذي أملٍ
يرجـــو نداك فإن الحـــر معـوان

٨- الخصلة التربوية الثالثة في الحديث تتمثل في الكلمة الطيبة التي قد يكون المراد بها ذكر الله سبحانه من تسبيح وتحميد وتهليل ونحوه لقوله ﷺ للفقراء عندما سألوه عن ماذا يتصدقون به : «**أوليس قد جعل الله لكم ماتصدقون به ، إن لكم بكل تسبيحة صدقة ، وبكل تكبيرة صدقة ، وبكل تحميدة صدقة ، وبكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة**» (رواه مسلم) .

أو قد يكون المراد بالكلمة الطيبة ، كلمة المعروف اللينة الجميلة الناصحة الصادقة لما لها من أثر تربوي في بناء النفوس ، وجبر الخواطر ، وامتصاص الغضب ، وحسن التعامل بين الناس ، ثم لأن الكلمة الطيبة صدقة ، وقول المعروف فضيلة ، ولذلك روي عن النبي ﷺ قوله : «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تلقى أخاك بوجه طليق**» (رواه مسلم) . وهنا درس تربوي نبوي يحث على خصلة تربوية تقوي روابط الاخوة الإسلامية وتوثق عراها . قال الشاعر :

عود لسانك قول الخير تحظ به   وإن اللسان لما عودت معتاد

٩- الخصلة التربوية الرابعة في الحديث هي المشي إلى الصلاة لحضور الجماعة ، وهذه خصلة تربي المسلم على التعلق بالمساجد ، وتعوده على الارتباط بها من خلال تردده عليها خمس مرات في اليوم والليلة ، فيكون ممن يعمر مساجد الله ويسعى إليها . قال تعالى : ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة**﴾ (التوبة ١٨) . وهنا درس تربوي إيماني مبني على تمام الإيمان وصدق اليقين . قال ﷺ : «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح**» (متفق عليه) كما أن في ذلك بعد تربوي يتمثل في التقاء المسلم بإخوانه المصلين وتعرفه عليهم ، وتفقد بعضهم لأحوال بعض ، ومن ثم تزداد روابط المحبة بينهم ووشائج الصلة ودواعي الألفة .

١٠- الخصلة التربوية الخامسة في الحديث هي إماطة الأذى وإزالته عن الطريق ومن فيه من المارة ، لما في ذلك من خدمة اجتماعية ، وأثر صحي يربي الفرد على اتباع قواعد الصحة والسلامة لنفسه وللآخرين . ولما في هذه الخصلة من مراعاة لحقوق الآخرين وواجباتهم ، كما انها شعبة من شعب الإيمان لقوله ﷺ : «**الإيمان بضع وستون شعبة ، أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» (متفق عليه) . ولقوله ﷺ : «**مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : والله لأُنَحِّيَنَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة**» (رواه مسلم) .

١١- ان هناك زكاة للبدن مثلما ان هناك زكاة للمال ، وان زكاة البدن هي أعمال الخير بمختلف صورها . قال تعالى : ﴿**من عمل صالحاً فلنفسه**﴾ (فصلت ٤٦) . وهذا درس تربوي نبوي يوضح ان الله لا يكلف نفساً فوق طاقتها وان ما يقدر عليه الإنسان من عمل الخير يكون صدقة له إذا ما ابتغى به مرضاة الله سبحانه . وهذا فيه تربية للمسلم على

هذه الخصال التربوية الحميدة ، وحث له على التمسك بهذه الأخلاق العالية والصفات الفاضلة والشمائل الكريمة ، قال الشاعر :

لا تزهدن في اصطناع العرف من أحد
وان امرؤ يحـــرم المعـــروف محـــروم
الخـير يبـقى وإن طـــالت مـــغبته
والشر ماعـــاش منه المـــرء مذمـــوم

وقال غيره :

يد المعروف غـنم حيث كانت — تحملها شـكوراً أو كفور
ففي شـكر الشكـــور لها جزاء — وعند الله ما كفر الكفور

وقال أبوالعتاهية :

خـــير أيام الفتى يوم نفـــع — واصطناع الخير أبقى ماصنع

١٢ – ان العبادات لا تقتصر على فرائض محدودة ، وشعائر معينة ، وإنما كل عمل طيب صالح قصد به وجه الله سبحانه فهو عبادة . وهنا درس تربوي نبوي يوضح أن عمل المؤمن كله خير ، وان هذا العمل مهما كان بسيطاً وقليلاً إلا انه قد يحصل به الأجر الكثير والنفع العميم . قال تعالى : ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره**﴾ (الزلزلة ٧) .

وقال الشاعر :

من يزرع الخير يحصد ما يسر به — وزارع الشر منكوس على الرأس

وقال ابن الوردي :

لا يضر الفضـــل إقلال كما — لا يضر الشمس إطباق الطـفل

فياشباب الإيمان ، ويا حماة الإسلام ، هل من عودة للتمسك بهذه

الخصال النبوية الفاضلة ، النابعة من معين الهدي النبوي المبارك الذي جاء به خير البرية ومعلم البشرية واستاذ الإنسانية محمد ﷺ ليصلح أحوال الأمة ويربيها تربية اسلامية خالدة؟!!

والله أعلم . . .

في تربية الأبناء

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم - قال : قال رسول الله ﷺ :

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشرٍ ، وفرقوا بينهم في المضاجع» (حديث حسن رواه أبوداود بإسناد حسن) .

دعا الإسلام إلى تربية الأبناء تربية اسلامية صحيحة تربطهم منذ نعومة أظفارهم بتعاليم الدين ، وتعدهم اعداداً سليماً في بداية حياتهم ليكونوا مؤهلين لحمل أعباء المسؤولية الكبرى الملقاة على عواتقهم في هذه الحياة . وإذا كانت التكاليف الشرعية من عبادات ونحوها محددة بسن معينة فإن اهتمام التربية الإسلامية جاء مبكراً وقبل بلوغ الطفل المسلم لهذه السن ، حتى يتم تدريبه على ذلك ، وحتى لا يكون التكليف مفاجئاً وعبئاً ثقيلاً عليه فيما بعده . لذلك كله فإن للأبوين دور كبير وأثر عظيم في تربية هؤلاء الصغار وتعويدهم على القيام بهذه التكاليف وعلى رأسها الصلاة كفريضة عظيمة وعبادة لازمة ترافق المسلم في جميع أحواله وظروفه ، وقد أشار الشيخ : أحمد القطان في كتابه «واجبات الآباء نحو الأبناء» على ضرورة تهيئة الطفل لأول صلاة يؤديها مع والده في المسجد ، وأهمية الاحتفال بها وتشجيعه على ذلك بتجهيز هدية مناسبة

له ، ولتكن ساعة يد حتى يعرف بها الأوقات ومواعيد الصلوات .

ومن الدروس التربوية النبوية التي يمكن استخلاصها من هذا الحديث ما يأتي :

* حرص التربية الإسلامية على مراقبة سلوك الأبناء ، والاهتمام بحسن تربيتهم ، ومتابعة ذلك من قبل الوالدين لحظة بلحظة تبعاً للعمر العقلي والزمني لهم . ولذلك جاء في كتاب (علموا أولادكم الصلاة) لمحمد سليم قوله : «إن تربية الأبناء علم وفن ، وحكمة وخبرة، وسلوك وتجربة، تصوغها جميعاً عاطفة الأبوة الرحيمة ، والأمومة الحانية» وهذا جانب تربوي مهم في تنشئة الصغار خاصة وان ذلك من حق الولد على والديه .

* ان في قوله ﷺ : «مروا» إشارة إلى الوجوب ، وهذا يعني ان تربية الأبناء أمر واجب وفرض لازم على الأبوين باعتبارهما حجر الزاوية الذي يشيد عليه صرح التربية الإسلامية للأسرة . ولما لهما من دور رئيسي في تنشئة الصغار وتوجيههم . قال تعالى : ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**﴾ (طه ١٢٣) .

* ان قوله ﷺ «أولادكم» لفظ عام شامل للذكور والإناث ، وهنا دعوة تربوية نبوية للمساواة بين الأولاد . وقد نستنتج منها ان تربية الأولاد واجب الآباء ، في حين تكون تربية البنات واجب الأمهات إلا ان الحكم ليس على اطلاقه . وهذا درس نبوي يظهر دور القدوة الحسنة في التربية كأسلوب عملي هام يترتب عليه تقليد الصغار لآبائهم في الأقوال والأفعال والسلوكيات المختلفة .

* أهمية تربية الفرد المسلم منذ صغره على أداء الصلاة بخلاف غيرها من العبادات التي تأتي في مراحل عمرية متأخرة . وهذا درس يبين

الأثر التربوي المسمى «بالتعود المبكر» على سلوك عملي ما . وهذا فيه بعد تربوي يتمثل في أن من تعود على أداء الصلاة منذ الصغر فإنه يتلذذ بحلاوتها التعبدية ويحصل له الفرح واليسر والبشاشة ، وتهون عليه جميع التكاليف الإلهية ، فيستقبلها مسروراً بسبب إقامته للصلاة مبكراً . قال الشاعر :

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عـــوَّده أبـــوه

* ان دوام ارتباط الفرد بالمسجد منذ صغره وتعويده على اقتطاع جزء يسير من وقته لأداء الصلاة والوقوف بين يدي الله جل وعلا ، من شأنه أن يربي في النفس البشرية حب الله سبحانه وتقوية الصلة بينه وبين خالقه . وهذه غاية سامية ومطلب عظيم لأن الصلة القوية بالله سبحانه تولد في النفس خشية الله وتقواه دائماً وأبداً . وهذا درس نبوي يهتم بالتربية الروحية للمسلم حينما تنازعه نفسه صلاته ، وهو يجاهدها في كل يوم وليلة خمس مرات بإقامة الصلاة والسير إلى المسجد وأدائها مع الجماعة إضافة إلى أداء النوافل في محاولة للانتصار عليها . وهذا الجهاد اليومي يعطيه قدرق الإنتصار على نوازع الشر ودواعي الفحشاء والمنكر . قال تعالى : ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ (العنكبوت ٤٥) .

* تحديد الرسول ﷺ وهو المربي العظيم للعمر الزمني يمكن للطفل فيه ان يقوم بهذا التكليف ، ويستوعب معنى هذه العبادة ، فهو لم يطالبه بذلك في سن مبكرة فلا يقدر عليها ، ولا في سن متأخرة فيرفضها . وإنما حدد الزمن الذي تتطلع فيه مواهب الطفل إلى النضج والإدراك . وهذا درس نبوي يبين أهمية مراعاة العمر الزمني في العملية التربوية وضرورة مراعاة ذلك لبداية ما يسمى حديثاً «بالتعليم المنظم» .

* إن الفترة من سن السابعة إلى العاشرة فترة زمنية يمكن فيها تعليم

الأولاد على أداء هذه العبادة عن طريق الوالدين بعدة طرق تربوية كالوعظ والتوجيه ، والتعويد والتحبيب ، والتشجيع القولي والعملي ، وعدم الإجبار أو الإكراه حتى تصبح عادة راسخة في النفس ، وهذا فيه درس نبوي يوضح أن تربية الطفل تحتاج إلى فترة زمنية كافية حتى تستوعب الأوامر والنواهي ويبلورها في نفسه حتى يدرك معنى التكاليف الشرعية .

* أشار الحديث إلى ان الأطفال يختلفون في استعداداتهم وقدراتهم وما هيئوا له ، وأن بينهم فروقاً فردية في القدرة على التعلم والاستيعاب والتحصيل ، فبعض الأطفال أقدر من غيرهم في التعلم ، ولذلك كان التدرج في التربية لغرض التمشي مع طبيعة النمو الإنساني .

* ان الأمر في هذا الحديث يقتضي تعليم الأولاد عملياً ونظرياً ، وهو مايسمى بالجانب التطبيقي في التربية . ويشمل تعليمهم الوضوء والصلاة وكيفيتها ومكان تأديتها ، واصطحابهم إلى المسجد وتعريفهم بآدابه وقدسيته . وهذا فيه تربية على غرس محبة الصلاة بالمداومة على مزاولتها ، والمثل يقول : «من شب على شيء شاب عليه» ثم لأن ذلك كله كفيل بتوفير بيئة صالحة لتنشئتهم وتربيتهم تربية اسلامية صحيحة .

* ان تعليم الصلاة والأمر بها يقتضي تعليم الأطفال بعض سور القرآن الكريم وأذكار الصلاة وأدعيتها ، وتدريبه على الأذان والإقامة ، وفي ذلك تربية للجانب الإيماني عنده . كما ان ذلك يساعد على معرفة أوقات الصلوات وحفظ الأذكار بعد أدائها .

* ان الضرب أو العقاب كجزء مهم في العملية التربوية لا يأتي إلا متأخراً ، ولا يكون إلا بعد ان يتم النصح والتوجيه والإرشاد والمعالجة بمختلف الطرق ؛ فإذا لم ينفع ذلك كله جاء العقاب البدني كإجراء حازم

وعلاج لازم لتصحيح الإعوجاج واصلاح الخلل وضمان سلامة التربية مع مراعاة تجنب ضرب الوجه والمواضع الحساسة من الجسم .

* ان الضرب كوسيلة تربوية يكون لغرض علاجي وهدف تأديبي ، وبذلك يكون الضرب تربوياً بمعنى أن يكون للإصلاح والتقويم لا للتخويف والتهديد والحاق الضرر بالآخرين . وهنا درس تربوي نبوي يدل على ان الضرب لا يكون إلا لغرض الإصلاح والتقويم ، وعند مرحلة زمنية محددة هي العاشرة من العمر . كما في قوله ﷺ : «واضربوهم» تقرير لمبدأ العقاب في العملية التربوية .

* ضرورة أخذ الوالدين بمبدأ الحزم والشدة اللازمة إذا مادعت الحاجة إلى ذلك . ويفضل ان يتولى العقاب أو التأديب ولي الأمر المباشر لأن في ذلك تحديد للشخص المربي أو القائم بالتربية والمسؤول عن متابعتها .

* ان سن العاشرة في الغالب سن تمييز وادراك ونضج ديني مبكر ، ولذلك فإنه يترتب على بلوغ الطفل هذه السن بداية التكاليف الشرعية والعبادات . ولذلك يسميها البعض «بسن الرشد الديني» .

* ان قوله ﷺ : «**وفرقوا بينهم في المضاجع**» يشتمل على حكمة نبوية عظيمة ، وقاعدة تربوية أخلاقية ، فالذكر يدرك في هذه السن أوجه التمايز بينه وبين غيره من الإناث . ولذلك دل الحديث على ضرورة التصرف مع الطفل في هذه السن تصرفاً طبيعياً وبهدؤ شديد .

يقول الأستاذ : عبدالله علوان في كتابه (تربية الأولاد) : «حتى لا يروا عورات بعضهم البعض في حالة النوم أو اليقظة ، الأمر الذي قد يثيرهم جنسياً ويفسدهم خلقياً» . وهذا درس نبوي تربوي يدعو إلى الأخذ بالأسباب الوقائية لتجنيب الولد الهياج الغريزي والإثارة الجنسية

التي عادة ما تصاحب التغيرات الجسمية التي تطرأ على الطفل في سن المراهقة وماقبلها .

* حرص التربية الإسلامية على سلامة أخلاق النشء منذ صغرهم ، واهتمامها بخصائص الأمور . وهذا بعد تربوي مثالي يرشد إلى ان غرس القيم الإيمانية والمفاهيم الإسلامية ، والطباع السلوكية يكون في الصغر أجدى وأنفع وأسرع حيث ان شخصية الإنسان كما يرى علماء النفس تبدأ في التكون والتشكيل منذ السنوات الأولى لحياته . والمثل يقول : «العلم في الصغر كالنقش على الحجر» .

يقول الشاعر :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت

ولا يلـــين إذا قومته الخـــشب

فيا معشر الآباء والأمهات : هذا منهج محمد ﷺ في تربية الآباء ، وهذا هديه المبارك ، وهذه تعاليم التربوية السامية . فلماذا لا نطبقها في واقعنا ؟ ولماذا لا نربي عليها أطفالنا ؟

والله أعلم . . .

المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢- ابن رجب الحنبلي - جامع العلوم والحكم - دار الحديث بالقاهرة .

٣- أبو الأعلى المودودي - مباديء الإسلام - الرئاسة العامة والإفتاء بالرياض .

٤- أبوبكر جابر الجزائري - منهاج المسلم - دار الشروق بجدة .

٥- أحمد بن الحسين البيهقي - الأربعون الصغرى - دار الكتب العلمية ببيروت .

٦- أحمد الهاشمي - جواهر الأدب .

٧- أحمد محمد جمال - نحو تربية اسلامية - دار احياء العلوم ببيروت .

٨- د. السيد محمد نوح - توجيهات نبوية - دار الوفاء بالمنصورة .

٩- حامد محمد العبادي - من حكم الشريعة وأسرارها .

١٠- رياض صالح جنزرلي - قطوف من الأدب النبوي - دار القرآن الكريم ببيروت .

١١- زكي الدين المنذري - مختصر صحيح مسلم - لجنة احياء

السنة بأسيوط .
١٢- سيد قطب - دراسات اسلامية - دار الشروق بجدة .
١٣- شمس الدين الذهبي - الكبائر - دار الكتاب العربي ببيروت .
١٤- د. صالح أحمد رضا - قطوف من رياض السنة - مؤسسة مناهل العرفان ببيروت .
١٥- صالح ابوعراد الشهري - آداب نبوية تربوية - مكتبة أبها الحديثة بأبها .
١٦- عبدالحميد كشك - ورثة الفردوس - دار الاعتصام بالقاهرة .
١٧- عبدالرحمن حسن حبنكة - الأخلاق الإسلامية - دار القلم بدمشق .
١٨- عبدالرحمن بن ناصر السعدي - بهجة قلوب الأبرار - الرئاسة العامة للبحوث والافتاء بالرياض .
١٩- عبدالله بن جار الله - بهجة الناظرين فيما يصلح للدنيا والدين - مكتبة السوادي بجدة .
٢٠- عبدالله بن صالح المحسن - الأحاديث الأربعين النووية - الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
٢١- عبدالله علوان - تربية الأولاد في الإسلام - دار السلام بالقاهرة .
٢٢- قاسم الشماعي الرفاعي - الدروس الوعظية في الآداب النبوية - المكتب الإسلامي ببيروت .

٢٣- د. كامل سلامة الدقس - من الأدب النبوي - دار الشروق بجدة .
٢٤- محمد بن ادريس الشافعي - ديوان الشافعي - دار الحكمة بدمشق .
٢٥- محمد بن حبان البستي - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - دار الكتب العلمية ببيروت .
٢٦- محمد بن سالم البيحاني - إصلاح المجتمع - دار القلم ببيروت .
٢٧- محمد سليم - علموا أولادكم الصلاة - المختار الإسلامي بالقاهرة .
٢٨- محمد صالح البنداق - الجواهر المختارة - دار الآفاق الجديدة ببيروت .
٢٩- محمد عبدالعزيز الخولي - الأدب النبوي - دار الفكر .
٣٠- محمد بن علان الصديقي - دليل الفالحين - دار الريان للتراث بالقاهرة .
٣١- محمد على الصابوني - من كنوز السنة - دار القلم بدمشق .
٣٢- د. محمد على الهاشمي - شخصية المسلم - دار البشائر الإسلامية ببيروت .
٣٣- محمد لقمان الأعظمي النووي - دراسات في الحديث النبوي - المركز الخيري لتعليم القرآن بالرياض .
٣٤- د. مصطفى البغا ومحى الدين مستو - الوافي في شرح الأربعين النووية - مكتبة دار التراث بالمدينة .

٣٥- يحيى بن شرف النووي - رياض الصالحين - دار المأمون للتراث بدمشق .